النِسَاء العَالِمات

أشخاص المسرحية

كريزال : رجل ميسور صالح.
فيلامانْت : زوجة كريزال.
أَرْمانْد : ابنتا كريزال وفيلامانْت.
هنْرييت :
أريسْت : شقيق كريزال.
باليز : شقيقة كريزال.
كليتانْدر : عاشق هنرييت.
تريسوتان : رجل مثقف.
فاديوس : عالم.
مرْتين : خادمة مطبخ.
لابين : خادم كريزال.
جوليان : خادم فاديوس.

الأحداث تجري في باريس.

الفصل الأوّل

المشهد الأول

أزْمانْد وهنْرييت

أزْمانْد : عندما تكون المرأة عازبة يحوم حولها الشبان كخليّة النحل، لأنها كالزهرة التي توشك أكمامها أن تتفتّح. لكنها متى تزوّجت تُترك لمصيرها الذي قد يكون بائساً.

هنْرييت : نعم، يا اختي.

أزْمانْد : هل جوابك هو لمسايرة تفكيري أم لوصف الحقيقة كما ترينها ؟

هنْرييت : لماذا، يا اختي، لا تحبّذين الزواج ؟

أزْمانْد : تبّاً له من ورطة نحن في غنى عنها.

هنْرييت : ماذا تقولين ؟

أزْمانْد : أكرّر لك، تباً للزواج وأنصاره، إنه يقيّد الفكر ويكبّل الحرية بالسلاسل ويذلّ العنفوان. وهو فضلاً عن ذلك، يذيب الشخصية. فلا ترتعدْ فرائصك لما أرتأيه، ولا يحزنْ قلبك لامتعاضي منه.

هنْرييت : كلما تلفّظت بكلمة زواج أرى نصب عينيّ رجلاً وأولاداً وأسرة. ولا أجد فيَّ كل هذه الميزات أي داع للتنكّر والرفض والنفور.

أزْمانْد : ماذا يزعجك من موقفي ؟

هنْرييت : في سنّي، أي مصير تريدين أن انتظر غير ارتباطي بزوج انتسب اليه، يحبّني وأحبّه، وأتفيّأ بعطفه وابتهج بصدق وفائه، وأنعم بجاذب إغرائه.

أرْمانْد : يا الهي. كم تتدنّى أفكارك الى حقارة الازعان والخضوع، وكم تذلي نفسك لأهواء زوج يتحكّم بميولك ويربكك بتربية الأولاد. دعي عنك هذا الانصياع للأشخاص العاديين السذّج وانبذي التقيّد بمثل هذه العراقيل الخسيسة، واطمحي الى ما هو نبيل، وترفّعي عن الأحاسيس المبتذلة وعن الملهاة الرخيصة التي ينحصر الزواج في إطارها. لأن المثقفات مثلنا لا تليق بهن إلّا المآثر السامية التي يجب عليك أن تتشبّثي بها وتفضّليها على كل ما عداها. وجّهي أنظارك الى كل ما يمتّ الى العلم بصلة وثيقة، ويشرّف أصحابه القلائل الذين يشار اليهم بالبنان ولا يتجاوز عددهم اصابع اليد. اجتهدي أن تكوني ممّن يرتفعن فوق المستوى العامّ نظراً إلى ما يمتَزْنَ به من صفاء الذهن وحدّة الذكاء وسعة الاطلاع. دعي حب الدرس والاطلاع يقودك الى المعالي، وزوّدي تلافيف دماغك بآراء قادة الفكر وأعلام التقدّم، ولا تسلّمي قيادك الى مشيئة زوج تظل إرادتك رهينة اهوائه واسيرة نزعاته ورغباته. اعتصمي بالفلسفة التي ترتقي بالانسان الى شوامخ المدنية وقمّة المجد في رحاب العقل المنفتح على كل طريق جميل. ولا تنساقي وراء تفاهات تسيطر على معظم أفراد البشر، وتخضع المرأة لنير عبوديّة الرجل باسم شريعة الزواج الجائرة، ضاربةً عرض الحائط بكل مشاعرها وكل محاولاتها للتحرّر والخلاص من سجنها الضيّق الذي تزجّ فيه نفسها بقبولها قيوده الثقلية القاسية. اذ تضطر الى مداراة من يفرض عليها سلطته. بينما يمكن كل امرأة أن تنصرف الى تنمية شخصيتها ومداركها والحفاظ على حقوقها بما تمنحها اياه مراتع الفلسفة الواسعة من حرية غير محدودة. على كل حال، كلانا نستطيع السير على خطى والدتنا : انتِ من الناحية النفسية والفكرية والاحلام الإستقلالية، وأنا من ناحية الحواسّ والمتعات الأرضيّة. انتِ في ما يعطي ثماراً روحية منوّرة، وأنا، يا أختي، في كل ما تجود به الطبيعة عليّ من ترضيات دنيوية.

أرْمانْد : عندما يقتدي الإنسان بسواه عليه أن يأخذ عنه الخصال الحميدة، لا أن يقلّده تقليداً أعمى بعاداته المزعجة كالسعال والبصق على الأرض.

هنْرييت : ما كنت لتتبجّحي بما أنت الآن عليه، لو كنت اخذت عن أمك صفاتها الكريمة. فأنتِ لا تنظرين الى ما تحلّتْ به من براعة التدبير وحسن

التصرف، وهذا نوع من أنواع فلسفة الحياة. فأرجوك أن لا تنسي ما امتازت به من طيبة القلب، وان تتجنّبي ما يمكن أن يلحق بك من غبن اذا اردت أن ترفضي كل عون من أي شخص صغير أو كبير يودّ أن يرفع رأسه في هذه الدنيا الحافلة بالفوضى والفجور.

أَرْمانْد : اجد أن ذهنك لا يريد التخلّص من عنادك إلّا بالبحث عن زوج يحميك ويدير شؤونك. ألا اعلمي من فضلك، على كل حال، أن اختيارك كليتاندر ليس في محله وليس هو أكمل الرجال.

هنْرييت : ماذا لا يعجبك فيه ؟ أترينه مجرداً من كل الخصال المشكورة حتى تعتبريه غير لائق بي ؟

أَرْمانْد : لا، أنا لا مأخذ لي عليه كرجل، بل ما أجده فيه خالياً من الشهامة هو السعي الى الاستيلاء على ما يخص سواه. ولم يعد خافياً على أحد أنه يستلطفني أنا ويخطب ودّي باستمرار.

هنْرييت : لا مجال لنكران ما تقولين. لكني ارجوك أن لا تقعي في أخطاء غيرك من الذين لا يحبّذون وثاق الزواج ولا يرون فيه إلّا انحطاطاً بشرياً، وانت منصرفة بكلّيتك الى تقديس الفلسفة التي آليت على ذاتك أن تجعليها قبلة وجودك. وهكذا إن كنت أنتِ لا ترغبين في الاقتران بكليتاندر، لماذا تحاولين أن تمنعيني أنا التي أميل اليه من أن أرضى به زوجاً ؟

أَرْمانْد : لا تنخدعي وتنساقي وراء ميولك، ولا تغترّي بما يقدمه لك من بخور الثناء، لكي تتهافتي على ما يعدك به كزوج محب من عطف ورعاية واخلاص.

هنْرييت : انا لا اتصدّى لما فيك من مزايا نبيلة ؟ فاذا رفضت أنتِ الارتباط بهذا الشاب الممتاز، لماذا تريدين أن تحرميني أنا من حسناته ومن قلبه الوفي وقد اختارني كشريكة حياته ؟

أَرْمانْد : وهل تجدين في تزلّف عاشق مسكين، حفظاً لكرامتك وصوناً لمصالحك ؟ ومن ناحية اخرى، من قال لك اني اقاوم في قرارة نفسي كل ميل اليه ؟

هنْرييت : هو ذاته الذي صرّح لي بذلك وأنا صدّقت تأكيده من خلال ما يبديه نحوي من تقدير وتفضيل.

أَرْمانْد : لا تكوني ساذجة الى هذا الحد، فتصدقي إدعاءات من يبوح لها بهيامه ويعدك بالوفاء والاخلاص، وهو يخادع نفسه، لأن قلبه يهوى سواك ولا يلقى سوى الصدّ والخزلان.
هنْرييت : أنا لست على بيّنة ممّا تدّعين. فإذا كنت تجدين لذة في قهر الرجال، فلا تذهبْ بك الظنون بعيداً وتتوهّمي ما ليس له في الواقع من وجود ... ها انذا أبصره قادماً الينا، ولن يبخل علينا في إجلاء هذه القضية المعقّدة.

المشهد الثاني

كليتاندر وارماند وهنرييت.

هنْرييت : لكي تحكم بيننا، أنا وأختي، في مناقشة عويصة أوقعت بيننا خلافاً، ارجوك أن تبيّن لنا، يا كليتاندر، من منّا نحن الشقيقتين تفضّل ؟
أَرْمانْد : انا لا أريد أن أفرض عليك رأيي، لأني لا أعرف تماماً مدى الاثر السيّئ الذي سيتركه بينك وبينها تصريحي بحضوركما هنا معاً.
كليتانْدر : (لأرماند) : لا، يا سيدتي. ان قلبي الذي لا يكتم سراً، لا يخشى ان يبدي ميله بوضوح. ومثل هذه الصراحة لا تمنعني من البوح بمكنونات صدري علناً وإظهار تفضيلي بجرأة وإباء. (يشير الى هنرييت) أني أحب وأقدّر هذه الصبية، بدون أن أقصد ازعاجك بهذا التصريح، خاصةً لأنك أنت تطلبينه. لقد اجتذبتني ملامحك الفاتنة وتعلّقت عواطفي بشخصك الكريم وهام فؤادي بصفاتك الحميدة. لكن ذلك لم يلاقِ تجاوباً من ترفّعك فجرحتِ شعوري بفتورك، ولمست في تشامخك إمتهاناً لكرامتي فعدلت عما كنت أمنّي به نفسي من لهفة تخصّيني بها انا الذي رجوت يوماً أن تشمليني بعطفك ورعايتك ولم يَنُبْني منك سوى الاستعلاء والجفاء. (يشير الى هنرييت) غير أني عوّضت عن خيبة أملي فيك بما غمرتْني به عيون أختك الحسناء من لطف وحنّو ومودة صادقة هي في نظري أثمن كنز في هذه الدنيا. فواست أساي

وكفكفت دمع رجولتي وكرامتي التي دستِها أنتِ بترفّع وجفاء، وسكبتْ على جرح قلبي بلسم حنوّها وانعشت في أعماق كياني ما كاد يخنقه صدودك في صدري من أمل ورجاء. فأرجوك الآن، يا سيدتي، أن لا تعيدي الكرّة، وتسحقي فؤادي ثانية بعد أن وجد من عرف كيف ينقذه من ألم الشموخ والازدراء.

أَرْمانْد : كفاك تهجماً وتجريحاً. من قال لك أن في نيّتي تكرار ما تتهمني به من استهتار ؟ ومن يهمّه هذا الأمر الآن، يا ترى ؟ أنا من جهتي لا انكر أني استلطفت وسامتك زمناً. واليوم، ألا ترى من العار أن تجابهني، لا سيما في حضور أختي، بما صارحتك به من شعوري نحوك في وقت من الأوقات.

هنْرييت : مهلك، يا أختي، هل نسيتِ ما تقضي به عليك اللياقة من مجاملة الأصدقا ومن لجْم فورة غضبك في هذا الموقف الحرج ؟

أَرْمانْد : أأنتِ التي تذكريني بما يجب علي أن أفعل، انا التي ألقّن الدروس في اللياقة وحسن التصرّف ؟ هل حملك حبك على ملامتي أنت ايضاً بهذه الطريقة الخشنة ؟ لا تنسي أن الواجب يضطرك الى التزام حدود التهذيب بدون اللجوء الى جرح شعور اختك الكبرى في موضوع عاطفي خاص، من الأفضل أن لا تفرض إحدانا فيه رأيها على شقيقتها.

هنْرييت : اشكرك جزيل الشكر على ما تكرمتِ به من امثولة في ما اؤكد لك أني لا ابغي من كلامي سوى صالحك. لذا اقول لكليتاندر بدون أن يحاول إرضاء احدنا على حساب مشاعر شقيقتها.

كليتانْدر : سأجتهد ان اعبّر بجلاء عن رغبتي الحقيقية في مَن اختارها فؤادي.

أَرْمانْد : لا تظني يا اختي، ان موقفك الصريح يؤثر على عواطفي.

هنْرييت : أنا ايضاً لا اريد، يا اختي، ان يزعجك كلامي. فأنت حرّة في أن تحكّمي طموحك وتغلّبيه على حبك. وان كان في أعماق صدرك أي ضعف يحول دون اظهار ميولك، ما عليك إلّا أن تدعمي تفضيل كليتاندر وتساعديني على التوصّل الى الاقتران به، بل ارجوك أن تعملي على تحقيق أمنيتي الغالية ...

أَرْمانْد : بسخريتك هذه تدوسين قلبك الذي يأبى أن ينالك أيّ سوء.

هنْرييت : لا مبرر لظنّك هذا الجائر. فأنا شقيقتك، ويعزّ عليّ أن أراك تتدنّين الى ربط مصيرك بمشيئة رجل لا يليق بك.
أَرْمائد : أنا لست من رأيك في هذا الموضوع. فلا تحاولي حملي على دعم فكرتك.
هنْرييت : هذا شأنك، يا أختي. لكنني أسألك أن تتروّي في ما ترومين التمسّك به من أوهام على حساب حريتك وأحلامك.

المشهد الثالث

كليتاندر وهنرييت

هنْرييت : تصريحك بالنسبة اليها لم يكن مفاجأة لي.
كليتانْدر : لا بد من الصراحة حيالها. لأن هوس كبريائها يحتاج الى مثل هذا التوضيح، وبما أنك تشجّعينني، يا سيدتي، فأنا انوي أن اقابل والدك ...
هنْرييت : الأفضل أن تستميل، امي، لأن أبي لا يمانع أي طلب يخصّني. لكنه لا يضع موافقته دائماً موضع التنفيذ. فهو طيب القلب، ويرضى في بادئ الأمر. لكن من الضروري اقناع والدتي لإتمام المشروع. فهي التي تفرض ارادتها، وهي التي تدبّر بواطن الأمور، وكلمتها هي وحدها النافذة في كل قرار. لذا أسألك أن تنال رضاها وموافقة عمتي ايضاً. لأن لكل منهما تأثيراً لا يستهان به على رأي والدي. فإن نجحت أنت في استمالتها الى وجهة نظرك تفوز لا محالة بمبتغاك.
كليتانْدر : ان طبعي الصريح يأبى أن يتملق اختك، لأن النساء العالمات ليس لهن على قلبي أي نفوذ، ما دمت لا أستسيغ نزعة المرأة الى السيطرة والصدام. فالعالمة الهائمة في متاهات التقدّم والرقّي لا مكان لها في قلبي. وكم اود أن تتجاهل ابنة حوّاء في بعض الأحيان ما تعلم علم اليقين أنه تبجّح منها وتشامخ. لأن درايتها في أغلب الأحيان تجني عليها وتحرمها تقدير أقرب المقربين اليها. فبدون أن تقصد وبدون أن تُثبت سعة اطلاعها بالبراهين الحسّيّة تُعدّد مثلاً

اسماء المؤلفين والكتّاب وتستخدم الكلمات الرنانة في أحاديثها لتزيد تأثير عباراتها وتسترعي انتباه سامعيها الى حكمها ومغزاها. أنا احترم السيدة والدتك، لكنني لا أستطيع أن أوافق على أوهامها، واردّد مثلها ما كانت تكرّره من مديح وثناء على ابطال الفكر والثقافة والعلم. وبينما صديقها تريسوتان يضايقني، بل يرهقني بعنتريّاته، لا ارى غضاضة في اعجابها ببعض الرجال الافذاذ الذين تضعهم في أعلى مراتب الرقي. غير أن تقديرها رجلاً غرّاً دعيّاً يذم الناس في كتاباته، ويدّعي احتكار المعرفة، وفي النتيجة يستعمل الباعةُ، لقلّة الرواج، أوراق مطبوعاته لصرّ سلعهم في سوق اللحوم والخُضَر، فلا يسعني أن أوافق على صحة رأيها فيه.

هنْرييت : اجل ان كل مؤلفاته وخطاباته تبدو لي مملة جملةً وتفصيلاً. وانا من رأيك، ونظرتك الصادقة اليه. ولكن بما أن له تأثيراً كبيراً على والدتي، لا بدّ من أن تداريه كثيراً. فالمحبِ يغازل عادة من استولت على قلبه. وهو في هذا الوضع يحاول أن يستميل اليه كل الخلائق لينال رضاهم. ولكي لا يدع اي شخص يعارضه، لا يتورّع حتى عن محاولة استرضاء كلاب الحيّ كي لا يزعجه نباحها عندما يزور حبيبته.

كليتانْدر : اجل، الحق الى جانبك. غير أن السيد تريسوتان مع ذلك يثير في نفسي الاشمئزاز العميق بعجرفته. ولا أتردّد في أن أعلن أني ممّن يحبّذون بعض كتاباته، وإن نابني من جرّاء ذلك معارضة بعض الأصحاب. المهم أن أنال حظوة في عينيه. فمن خلال كتبه تعرفت اليه ومن بذاءتها تبيّن لي إدعاؤه العلم وطموحه الفاشل الى بلوغ العُلى الذي ليس ابداً من أهله ـــ لأنه بآرائه التي يخبط فيها خبط عشواء وترضي غروره، وتفضح سخافته من حين الى آخر لا يستحقّ في الواقع إلا الشفقة على قصر نظره وضيق تفكيره. ولو أدرك قيمة كتاباته الحقيقية الزهيدة لغيّر نظرته الى نفسه حتماً، ولما ظنّ أنه ظفر في محاولاته الثقافية، بما يجنيه من غار المجد قائد الجيش المنتصر في معركة حامية الوطيس جال فيها وصال وتفوّق.

هنْرييت : لله درّ العيون التي تبصر حقيقة كل هذه الوقائع.

كليتانْدر : وكما أن غالباً ما يتجلّى إلهام الشاعر في مطلع ابيات قصيدته،

هكذا بدت لي بوضوح معالم حماقته، فراهنتُ يوماً وانا في القصر الملكي، انه لا يقوى إلّا على الجعجعة هناك، وذلك من مجرّد كلامه التافه، وبدون أن يسبق لي أن أعرفه شخصياً، أدركت أنه هو بذاته كما توقّعت.

هنْرييت : حول ماذا كان يدور حديثه ؟

كليتانْدر : لا، أنا لا اريد النيل منه، بل أورد هذه الحادثة كنموذج ... ها أنا أرى عمتك. أرجوك أن تسمحي لي بما أودّ أن أعرضه لها من واقع حالنا، أنا وأنت، واكشف لها من واقع حالنا، أنا وأنت، واكشف لها سرّ حبنا ورغبتنا في الزواج، لعلّي أحظى برضاها وبموافقة والدتك ايضاً بالطبع.

المشهد الرابع

كليتاندر وبالينز

كليتانْدر : ارجوكِ ان تجودي علي، يا سيدتي، بالإصغاء الى ما اودّ، أنا العاشق، بانتهازي هذه الفرصة السعيدة أن اكشفه لك من هيامي الصادق ...

باليز : يا لك من مهذّب. اياك أن تفتح لي قلبك على مصراعيه. فإن كنت من عشّاقي عليك أن تكتفي بالتلميح ومن عينيك أفهم ما تريد أن تبوح لي به من غرام وهيام. بإمكانك أن تتصرّف كما تشاء، وان تناجيني وأن تتغنّى بمحاسني، لكن بدون أن تعرب صراحةً عما يختلج بين ضلوعك من هوى. فأنا مستعدة طبعاً للتغاضي عن جميع مداعباتك الصامتة، بشرط أن لا تتدخل شفتاك للبوح بأشواقك، وإلّا اقصيتك عني الى الأبد، وابعدتك عن ناظريّ.

كليتانْدر : قلبي متيّم بهوى هنرييت التي سحرتني. بجمالها، وكل رجائي ان تتجاوب مع نداء حنيني الى ألْطافها.

باليز : لا أنكر أن عيونك قد استرعت انتباهي، ولا بد لي من أن اقدّر شعورك. لأني لو بحثت في كل القصائد الغرامية لما وجدت شخصاً يستحق اللهفة أكثر منك.

كليتانْدر : هذا ليس مجرّد تقدير، يا سيدي، بل هو اعتراف بما أكنّه من حب

راسخ في قلبي نحو هنرييت التي أسرتْ كل مشاعري، هنرييت التي لم يعد لي من أمنية في الحياة سوى الاقتران بها نظراً الى ما يشدّني نحوها من شوق جارف.

باليز : لقد ادركت الآن ما يعني لك هذا الاسم الحبيب على فؤادك. لكن لا بدّ لي من أن ابيّن لك أن هنرييت لا ترغب كثيراً في الزواج مهما أشدْت بتعلّقك في هواها.

كليتانُدر : ارجوك، يا سيدتي، ان تري الأمور على حقيقتها ولا تتخيّلي ما لا وجود له في الواقع. فأفكار هنرييت هي بعيدة كل البعد عمّا تتصوّرين.

باليز : يا الهي. أنا لا استنبط أي ادعاء، بل أصارحك بما يجول في خاطري. وما عليك الا أن تحاول بوسائلك الخاصّة أن تقنعها بحبّك وشوقك، عساها تلبّي رغبتك في الاقتران بها.

كليتانُدر : ولكن ...

باليز : انا لا أودّ أن اتعدّى معك هذه الحدود. ألا ترى كيف أحمرّ حياءً مما قد قيل في هذا الموضوع ؟

كليتانُدر : أتمنّى أن أموت لو جننت بحبك، لكني عاقل و ...

باليز : لا، لا. لا أود أن أستمع اليك اكثر مما فعلت. (تخرج).

كليتانُدر : تبّاً لها من ثرثارة مهووسة. وهل يمكن أن يكون ما نطقتْ به إلّا هراءً وكلاماً غير معقول. على أن ألْتمس مساعدة شخص سواها يفهم مشكلتي ويعينني بإخلاص على حلّها.

الفصل الثاني

المشهد الأول

أريست

أريسْت : اجل سأحمل اليك الجواب بأسرع ما يمكن. وسأضع كل ثقلي وامكاناتي، اذا لزم الأمر. ما أكثر إلْحاح العاشق ولجاجته عندما يريد أن يصل عاجلاً الى بغيته.

المشهد الثاني

كريزال وأريسْت

أريسْت : حفظك الله، يا اخي.
كريزال : وحفظك أنت ايضاً، يا شقيقي.
أريسْت : هل تدري ماذا أتى بي اليك ؟
كريزال : لا، لست أدري، ولكن كلّي آذان صاغية للاستماع إليك.
أريسْت : انت تعرف كليتاندر منذ زمن بعيد.
كريزال : بدون شك، ولاحظت أنه يتردّد كثيراً عليك.
أريسْت : تُرى، ماذا يريد منك، يا اخي العزيز ؟
كريزال : انا أعرفه جيداً وأقدّر فيه سداد الرأي وطيبة القلب وحسنْ الطويّة.

وأخشى أن لا يوجد كثير من أمثاله في الرصانة واللياقة.
أريسْت : لقد قادتني قدماي اليك، طبعاً لمفاتحتك بأمر جليل.
كريزال : في الماضي، عرفت أباه اثناء سفري الى روما.
أريسْت : جميل جداً.
كريزال : ولقيت فيه، يا أخي، رجلاً ممتازاً يتحلّى بالأخلاق والصفات الحميدة.
أريسْت : هذا ما يقال عنه في كل مكان.
كريزال : كنّا في تلك الأيام كلانا في الثامنة والعشرين، ننعم بمباهج الشباب. وكل منّا يتباهى بما حباه الله به من وسامة ومرح وميل إلى التمتع بأطاييب الحياة.
أريسْت : لا اخالفك في ذلك.
كريزال : فنلنا حظوة في أعين سيدات روما، وكان الجميع يلهجون بذكر مغامراتنا العاطفية معهنّ. وكم حَسَدَنا من الفتيان على ما بلغناه من نجاح في مداعباتنا ومسامراتنا.
أريسْت : هذا فعلاً يستحق الذكر. ولكن، دعنا ندخل في صُلْب الموضوع الذي جئتني لأجله.

المشهد الثالث

باليز (تدخل متمهّلة متنصتّة) **وكريزال وأريست.**

أريسْت : لقد انتدبني كليتاندر لأشرح لك تعلُّق قلبه المشغوف بحب هنرييت.
كريزال : من تعني ؟ ابنتي أنا ؟
أريسْت : اجل، كليتاندر غائص في هواها، ولم أجد أبداً عاشقاً متيّماً نظيره.
باليز (لأريست) : لا، لا. أنا أفهم قصدك، غير انك تجهل حقيقة القصّة. وهي تماماً خلاف ما تتخيّله.

أريسْت : ماذا تقولين، يا اختي ؟
باليز : كليتاندر يبالغ في وصف مشاعره نحو هنرييت، وهو مغرم ومشغول بسواها.
أريسْت : أنتِ لا شك تمزحين. هل يهوى غير هنرييت ؟
باليز : نعم، أنا واثقة مما قلت.
أريسْت : لكنه هو ذاته أخبرني بأنها تشغل قلبه وفكره.
باليز : هل هذا صحيح ؟ هل تصدّقه حقاً ؟
أريسْت : انا قادم اليكم بتكليف منه هو نفسه، لأطلب اليوم يدها من أبيها.
باليز : جميل جداً.
أريسْت : وشوقه ورغبته الملحّة دفعاني الى التعجيل بالسعي لتحقيق هذا الزواج.
باليز : ليس أغرب من هذا التصرف الأهوج، كأن هنرييت لعبة بين ايدينا نتسلّى بها. مهما كانت الأحوال، يا أخي، أرجوك أولاً أن تتحرّى الأمور وتكشف سرّ هذا الاستعجال، لتجنّب إرتكاب أية غلطة تكون عواقبها وخيمة.
أريسْت : بما أنكِ تلمّحي الى محاذير خطيرة تعرفينها ونجهلها، ارجوكِ ان تذكري لنا اسم المرأة التي يحبّها.
باليز : هل تريدان حقاً أن تعرفاها ؟
أريسْت : أجل، بكل تأكيد.
باليز : هو يحبني أنا، دون سواي.
أريسْت : أنتِ ؟ يحبّك أنت ؟
باليز : نعم، أنا بذاتي.
أريسْت : ما هذا المزاح، يا أختي ؟
باليز : لماذا تتعجب، يا عزيزي، وما المدهش في ما كشفت لكما عنه من سرّه. أوليس في مظهري ما يسترعي الانتباه ويجتذب الإحساس ؟ وهل للقلب قاعدة في من يعشق ؟ أو تتجاهلان دورانت ودأميس وكلايونت وليسيداس الذين كانوا كلهم يحومون حول شخصي كقفير النحل.
أريسْت : وهل أحبك جميع هؤلاء الرجال ؟

باليز : أجل، بكل قواهم.
أريسْت : وهل باحوا لك صراحة بأنهم يعشقونك ؟
باليز : لم يتمادَ معي أحد منهم الى هذا الحدّ. بل اكرموني واحترموني بدون أن يجرؤوا على الكشف لي عن مخبّآت صدورهم ولم يذكروا كلمة واحدة ممّا يجيش بين ضلوعهم من حب دفين. غير أني فهمت من تفانيهم في تلبية رغباتي وتهافتهم على إدخال السرور الى قلبي بصمت، أن رصانتهم كانت بالنسبة الى إدراكي خفايا الأمور، أبلغ تعبير عمّا يكنّونه لي من هيام عميق مكتوم.
أريسْت : من مدة طويلة، ما عدنا رأينا داميس الذي انقطع عن زيارتك.
باليز : انا أعلم أن حديث دورانت يغيظكم. لذا لم يعد يتردّد علي كما كان يفعل سابقاً.
أريسْت : وقد تزوّج كل من كلايونت وليسيداس.
باليز : لأني لم أستجب نداءات فؤادهما وحرارة حبهما.
أريسْت : هذا في نظرك أنت، يا اختي.
كريزال (لباليز) : لا بد لك من التخلّص من هذه الأوهام.
باليز : أوهام ؟ أتظن أن أقوالي أوهام ؟ هل أتوهّم أنا باليز ؟ حقاً هذا لطيف منك، يا أخي. لكني ابتهجت أنا بهذه الأوهام، ولم أكن لأدري أن أحلامي ما كانت إلّا أوهاماً، لو لم تعلنا لي ذلك كلاكما معاً (تخرج).

المشهد الرابع

كريزال وأريست

كريزال : حتماً أصاب شقيقتنا مسٌّ من الجنون.
أريسْت : وذلك يزداد معها فداحة يوماً بعد يوم. لنتكلم عن كليتاندر الذي طلب منك يد هنرييت. فأي جواب تريد أن تقدّم له، وقد كشف لنا عن حبه وهيامه بها ورغبته الشديدة في الاقتران بها ؟

كريزال : وهل هذا يحتاج الى سؤال ؟ أنا موافق من كل قلبي على هذا الزواج الذي لا أجد أنسب منه.

أريسْت : أنت تعلم جيداً أنه ليس ميسوراً نظير ...

كريزال : هذا أمر ثانوي في نظري. لأن صاحبنا المذكور غني بالفضائل والمزايا الحميدة. وأرى أن صفاته أكبر كنز في الدنيا. ثم أني كنت أنا ووالده روحاً واحداً في جسدين، نظراً الى الصداقة المتينة التي كانت تربط بيننا.

أريسْت : تعالَ اذاً تكلّم زوجتك ونقنعها.

كريزال : يكفي أن أقبله أنا كصهرٍ.

أريسْت : نعم، ولكي تدعم قبولك، يا أخي، لا مانع من الحصول على رضاها ايضاً. هيّا بنا ...

كريزال : هل تسخر منّي ؟ لا ضرورة لما تطلبه الآن. فأنا مسؤول عن زوجتي، وآخذ مسألة إقناعها على عاتقي.

أريسْت : لكن ...

كريزال : اقول لك أن رأيي هو الأهمّ. فلا تعارضني. ها أنا ماضٍ لمفاتحتها بالأمر كما قررت ولن اتراجع عنه.

أريسْت : ليكن لك ما تريد. وأنا ايضاً ذاهب لأجسّ نبضِ هنرييت في هذا الموضوع الخطير الذي يهمها بالدرجة الأولى، وأعود لأطّلِع على ...

كريزال : عقدة ابنتي محلولة لأنها تريد الاقتران به. ها أنا ذاهب الى زوجتي لأكلمها في القضية بدون إمهال.

المشهد الخامس

مرتين وكريزال

مرْتين : كم هو حظي سعيد. مع الأسف، كلام الناس صحيح، مَنْ يُغرِق كلبه في النهر يدّعي انه مصاب بداء الكَلَب. وخدمة الغير ليست حقاً شرعياً علينا.

كريزال : ما بك، يا مرتين ؟ ما الأمر ؟

مرْتين : ما بي ؟
كريزال : نعم. مما تشكين الآن ؟
مرْتين : ما حلّ بي هو أنني طُردت اليوم من خدمتكم، يا سيدي.
كريزال : ومَن طردك ؟
مرْتين : السيدة زوجتك.
كريزال : لم أفهم ما تقولين. أوضحي، لماذا طردتك ؟
مرْتين : لقد هدّدتني إن لم أغادر هذا المكان بأن تضربني مئة جَلْدَة.
كريزال : لاَ، لا. ستبقين عندنا، ولن نستغني عنك لأني أنا ممنون من عملك. وأنتِ تعلمين أن زوجتي عصبية المزاج. لا اريد أن تذهبي ...

المشهد السادس

فيلامانت وباليز وكريزال ومرتين

فيلامانت (تلمح مرْتين) : أرى أنك لا تزالي هنا، يا خبيثة. هيّا اخرجي حالاً، يا لئيمة. هيا غادري البيت فوراً، ولا تريني صورة وجهك بعد الآن.
كريزال : مهلاً، مهلاً.
فيلامانْت : كلّا. لقد قُضي الأمر وطردتها.
كريزال : ماذا تقولين ؟
فيلامانْت : اريد أن تخرج هذه الوقحة حالاً وسريعاً من هنا.
كريزال : لكن قولي لي ماذا فعلت ؟ وأي جرم إرتكبت ؟ لكي تصرّي على ...
فيلامانْت : ماذا تقول ؟ هل تساندها وتعارضني ؟
كريزال : ابداً، ابداً، أنا أريد ...
فيلامانْت : هل تُفضّلها عليّ أنا زوجتك، وتدافع عنها هي الخادمة.
كريزال : يا الهي. أنا لا ادافع عنها. لكني أسألك ما هو جرمها ؟
فيلامانْت : وهل أطردها انا بدون سبب موجب شرعيّ.

كريزال : أنا لا أقول ذلك. لكن الناس ليسوا ...

فيلامانْت : لا، لا. يجب أن تغادر المحتالة هذا المكان للحال، تماماً كما أقول.

كريزال : خففي لهجتك. هل قلت أنا ما يعارض رأيك ؟

فيلامانْت : أنا لا أرضى بأن يعارضني أحد في ما أقرّره.

كريزال : وانا معك من هذا القبيل.

فيلامانْت : عليك اذاً بصفتك زوجي، أن تساندني وتصبّ جام غضبك عليها كما أفعل أنا.

كريزال : هذا ما سأفعله أنا أيضاً. (يلتفت الى مرتين) زوجتي على حق في طردك، يا محتالة. غير أن جرمك يقبل العفو.

مرْتين : ماذا فعلت أنا، يا سيدي ؟

كريزال (بصوت خافت) : بالحقيقة، لست أدري.

فيلامانْت : ها هي تنساق وراء مزاجها الذي لا يحترم إرادة أي إنسان.

كريزال : هل كسرتْ مرآةً أو قطعةً من الصيني، يا عزيزتي، كي تستحقّ فورة غضبك.

فيلامانْت : هل تريد أن أطردها واحنق عليها هكذا لأتفه الأمور ؟

كريزال (لمرتين) : ماذا قلت ؟ (لفيلامانت) المسألة اذاً خطيرة جداً.

فيلامانْت : بدون شك. وهل أنا امرأة غبية بلا عقل ولا منطق ؟

كريزال : هل سرقتْ قنينة مشروب أو قطعةً من الفضيّة عن سابق عمد وتصميم ؟

فيلامانْت : ما ذكرته لا أهمية له بالنسبة إليّ.

كريزال (لمرتين) : تبّاً لك من لعينة ماكرة. (لفيلامانت) هل فاجئتها وهي متلبّسة بالجريمة ؟

فيلامانْت : الأمر أدهى من ذلك بكثير.

كريزال : وما هو هذا الأمر الأدهى ؟

فيلامانْت : قلت لك أدهى، أدهى بما لا يقاس.

كريزال : وكيف ارتكبت هذه الخدّاعة ما هو أدهى ؟ ...

فيلامانْت : إنها بوقاحة منقطعة النظير، وبعد تلقينها الدرس ثلاثين مرة لم تتعلّم بل افلتت من فمها غلطة بذيئة خسيسة لا يسامحها بها أقلّ سادة القواعد اللغوية شأناً.

كريزال : أهذه هي المعضلة اذاً ؟

فيلامانْت : ماذا تعني ؟ أَبَعْدَ كل توبيخاتي الموجهة اليها، تتجاسر وتصرّ على الانحراف عن أسس العلم الحديث، وقواعد اللغة التي لا يسمح بمخالفتها إلّا للملوك ؟ بينما يضطر الجميع الى احترامها والتقيّد بها.

كريزال : ظننت أنها ارتكبت جريمة نكراء.

فيلامانْت : ماذا تقول ؟ ألا تجد جرمها فظيعاً لا يغتفر ؟

فيلامانْت : لا ينقصني إلّا أن تسامحها أنت بهذا الخطأ الفاضح الناجم عن جهلها وعنادها.

كريزال : وقانا الله من عاقبته الوخيمة.

باليز : ها أنت تنظر الى الموقف الحرج بازدراء، وتشفق على حالها هي التي تهدم كل ما نسعى الى بنائه. مئة مرّة صحّحنا لها اغلاطها، وهي لا تزال مصرّة على تكرارها بعناد لا يُطاق.

مرْتين : كل ما تقولينه، يا سيدتي، قد يكون صحيحاً. غير أني لا أستطيع التعوّد على كلامكم الغريب.

فيلامانْت : تبّاً لك من وقحة. هل تعتبرين كلامنا المنقّح غريباً، يا جاهلة، يا عديمة الفهم والادراك ؟

مرْتين : عندما يتكلّم الانسان بالصواب ويمزج عباراته بكلمات مشبوهة يصعب عليّ فهم معناها ...

فيلامانْت : هذا نموذج من غلطها. ومن يطلب منها أي تأويل ؟ تبّاً لدماغها المغلق المتمرّد. هل يسعنا أن نتحمّل منك حديثك البذيء الذي نصححه لك باستمرار، وترفضين أن تقبلي إصلاحه ؟

مرْتين : يا الهي. انا لم ادرس مثلكم، ولم أتعلم القواعد ابداً. وأتكلم ما هو سَهْل عليّ، كما تعوّدت أن أفعل على الدوام.

فيلامانْت : وهل هذا يحتمل سماعه لا سيما منك، يا غبية ؟

باليز : هذا جهل مطبق لا يقبله أي مخلوق.
فيلامانت : بل جرم لا يغتفر، اذ إنه يخدّش الآذان لدى سماعه.
باليز : انا من جهتي أعترف بأنها عديمة الذوق جاهلة لا تميّز الصحيح من الخطأ، خاصّة في ما يتعلّق بقواعد اللغة.
مرْتين : ومن قال أني أريد ان أهين جدّي أو جدّتي ؟
فيلامانت : أصمتي، أيتها الوقحة.
باليز : كلامك يدل على جهلك وعدم ادراكك، يا حمقاء.
مرْتين : لا يهمني أمر الطريقة التي تطلبين مني أن أخاطبك بها، إن كانت مطابقة لمزاجك أو لا.
باليز : حقاً أنت فلّاحة ابنة فلاحين. لأنك تجهلين الأصول، كما نرى، ولا يهمك أن تحسّني لغتك وترقّي حديثك وتميّزي بين الفعل والاسم والحرف.
مرْتين : بكل صراحة أعترف لك، يا سيدتي، بأني فعلاً، لا أعرف أسماء الأشخاص الذين ذكرتهم الآن :
فيلامانت : حقاً أنت غارقة في ظلام جهلك.
باليز : هذه الألفاظ الثلاثة تدل على أنواع الكلمات التي تنطقين بها في كل احاديثك، يا بلهاء. وعليك أن تجيدي استعمالها وربط بعضها بالبعض الآخر لتأتي اقوالك صحيحة مطابقة للقواعد ومنسجمة أيضاً.
مرْتين : أنا لا يهمني إن كان ما اقوله صحيحاً ومطابقاً للقواعد التي لم أتعلّمها كما كرّرت لك مراراً.
فيلامانت (لباليز) : بالله عليك، كفّي عن متابعة هذه المناقشة العقيمة. (لزوجها) ألا تخرجها من هنا ؟
كريزال (**على حدة**) : اذا كان عليّ أن اساير أهواء زوجتي عليك أنتِ ان تخرجي الآن، يا مرتين.
فيلامانت : ماذا اسمع ؟ هل تخشى أن تجرح شعور هذه الخادمة الحقيرة، حتى تخاطبها كمن يلتمس منها معروفاً.
كريزال (**بصوت مرتفع**) : أنا، لا ابداً. هيّا أخرجي. (بصوت خافت) اذهبي، يا إبنتي المسكينة.

المشهد السابع

فيلامانت وكريزال وباليز.

كريزال : هل أنت الآن راضية ؟ ها هي قد مضت. لكني لا أوافق على تصرّفك هكذا. لأنها فتاة مخلصة في عملها، وأنت تصرّين على طردها لأتفه الأسباب.

فيلامانت : أحقّاً تريد أن أترك هذه الفلاحة الجاهلة في خدمتي لكي تخدّش باستمرار أذني بكلامها البذيء المليء بالأخطاء اللغوية التي لا تطاق. انها لا تتقيد بأية قواعد، ولا بأي منطق سليم، كأنها تتكلم في سوق اللحوم والخُضَر.

باليز : لا أنكر أن حديثها ركيك، وانها تخطئ الف مرة كل يوم بحق سيبويه، وان كلامها سمج يدل على مدى جهلها وقلة ذوقها. أنا أفضّل أن اسمعها وهي تغسل الخضر والفواكه بدون أن تخلط بين أنواع الكلام من أفعال وأسماء وحروف، بين المفرد والمثنى والجمع وبين المذكر والمؤنث. في الواقع، يهون عليّ أن أراها تحرق المشوي على النار المتأججة، وأن تزيد ملح السلطة أكثر من اللازم عند تتبيلها بشرط أن لا تخدّش أذنيّ بأقوالها المهشمة الثقيلة. مع أني احب الحساء اللذيذ والمآكل الشهية، وانا أعرف جيداً أن معظم الشعراء والكتّاب لا يحسنون الطهو وشغل المطبخ.

فيلامانْت : هذا حديث مفروغ منه. لكن، من الصعب على الانسان أن يتحمّل الشواذّ والأخطاء الكلامية، ولا يجيد الحديث الصحيح الخالي من الأغلاط، اذ يبدو كجسم رشيق يرتدي الاسمال البالية الرثة. ولا بدّ لنا نحن المثقفين من أن نتحلّى بما وصل اليه العلم من تقدّم ورُقي.

كريزال : لا انكر فائدة ما تبدين من ملاحظات. غير أن جسدي هو ملكي وأنا حرّ في إلباسه الأسمال البالية، إن كانت عزيزة عليّ.

باليز : لا تنسَ إن زينة الجسم هي الروح والثقافة والعلم الواسع الآفاق. وعندي ان للروح الأفضلية المطلقة على البدن المادي، فعلينا أن نتحلّى كلنا

بدون استثناء بالعلم الرفيع المستوى والثقافة العالية التي تنهض بالانسان الى اعلى ذرى المعرفة والمدنية.

كريزال : اذا فكرت بتغذية روحك، ما عليك إلّا أن تأكلي اللحوم الدسمة كما يقال، وان لا تأبهي ابداً للعناية الصحية الضرورية ...

فيلامانت : العناية والدقة هما أساس كل تقدّم، وانت بعيد في هذا المضمار مراحل عن هذه النقطة الجوهرية.

باليز : بالصواب نطقتِ، يا عزيزتي.

كريزال : هل تريدان ان تستمعا كلاكما الى ما يجول بخاطري ؟ هل ترغبان في أن ينفجر دماغي أو أن ينفرط كبدي من جرّاء ترديد هذه السخافات التي لا طاقة لي ولا لأيٍّ كان أن يتحمّلها ؟

فيلامانت : كيف تقول هذا ؟

كريزال (لباليز) : إليك أوجّه كلامي، يا اختي. أراك تستائين من أي خلل في تطبيق القواعد، وأنت غير معصومة عن الوقوع في الخطأ. ان تمسكك بالكتب لا يرضيني. لأنك فضلاً عن مجلّد بلوتارك الذي يثير حفيظتي، عليك أن تحرقي كل ما تحويه مكتبتك من مؤلفات، وان تتركي العلم لأربابه الاختصاصيّين. عليك أيضاً أن تقنعي بما أنت فيه، ولا تحاولي أن تطالي القمر البعيد المنال، بل عليك أن تضعي نفسك في مستوى المحيط الذي تعيشين فيه، وان تطبعي في نفوس اولادك روح الفضيلة وحب عمل الخيّر. أما المرأة اجمالاً فيتحتّم عليها أن تقنع بفلسفة الاقتصاد في المصاريف وإدارة البيت، وأن لا يشرئبّ عنقها لتبصر ما وصل إليه فلاسفة العصر وأساطين العلم وقادة الفكر البشري. لأن آباءنا وأمهاتنا اكتفوا بما حصلوا عليه من وسائل العيش الأصلح والاهتمام الضروري بمحيطهم بدون التطلّع الى الأعلى. فنمتْ اسرهم وازدهرت بما انتجته أنامل الامهات من اشغال الابرة التي كانت بالنسبة اليهم ككتاب المطالعة الوحيد بدون أن يَطْمَعْنَ بالتحوّل الى شاعرات ومؤلفات. بينما أجد الآن حولي هؤلاء النساء يتفلسفن ليطّلعن على كيفية دوران القمر ومركز النجمة القطبية وسَيْر كواكب الزهرة وساتورن والمرّيخ، وأنا لا أعرف عنها شيئاً. فلماذا هذا السعي الى البعيد للالمام بما لا ينفعهنّ في تربية اولادهن

وإدارة مطابخهنّ، وهنّ يجهلن كيفية إعداد ما يلزم لإنماء الأُسْرة، ما دُمْنَ يحاولن تقليد العلماء والارتقاء الى مصافّهم. والمطلوب منهن أن يُحسنّ ما هنّ مسؤولات عنه في ادارة شؤون بيوتهنّ. فهذه تحرق الطبيخ لأنها تتلهّى بقراءة قصة، وتلك تحلم بنظم قصيدة، بينما أنا عطشان أنتظر من يسقيني جرعة ماء. أجل عندي خادمة مسكينة، ولكن زوجتي المزاجية تشاجرها لأتفه الأسباب، الأمر الذي يعكّر صفاء جوّ المنزل، ثم تطردها وتحدث ضجة جهنمية حول عدم امتثالها لأوامرها. وبهذه الملاحظة أقصدك طبعاً بسبب تصرفك غير المتّزن، يا أختي. لأني لا أحبّ تشبثك بالعلم الذي تدّعين أنه حلية يجب أن تزدان بها المرأة، ولا تبجّحات السيد تريسوتان الذي شجّعك على قرض الشعر وتنسيق القوافي. ولذلك يترقّب ان تُغدقي عليه المديح، وصوته يَخُنّ كالجرس المكسور.

فيلامانت : ما هذا الاسفاف الحقير بالتفكير والتعبير ؟

باليز : هل من حقارة أدنى من انتقاد في غير محله، لا سيما في موضوع لا يُلمّ بدقائقه الناقد الذي يدّعي ان معدنه يفوق نقاوة اي معدن سواه. أنا لا أبغي التشامخ على من حولي بل أودّ أن أساوي من ارتقى في محيطي وترفّع عن البذاءات والتفاهات وأحذو حذوه في الإعتدال.

المشهد الثامن

فيلامانت وكريزال

فيلامانت : هل لديك أي اعتراف جديد.

كريزال : انا، كلّا. لنقف في حوارنا عند هذا الحدّ. فما جرى قد جرى. ولنتداول في موضوع آخر، مثلاً، استعلاء إبنتك الكبرى أرماند التي لا تكتم امتعاضها عن الزواج، فهي متفلسفة ولا عتب لي عليها في ذلك، لأنه مسألة شخصية. وهي نظيرك لا يعجبها شيء. لكن اختها التي لا تشبهها من هذا القبيل مهما كان حيوياً، لا بد من أن نشجّعها على اختيار شاب تقترن به ...

فيلامانْت : وانا ايضاً افكّر في ذلك، وأودّ أن أُطلعك على ما أراه مناسباً. ان السيد تريسوتان الذي نتّهم بالسماح له بأن يتردّد علينا، وهو لا يحظى برضاك، افضّله أنا كزوج لابنتنا، لأني أدرى منك بمن تحتاج إليه. واذا لم توافق عليه، فهذا أمر غير هامّ بالنسبة اليّ، ما دمت عازمة على مفاتحتها بشأنه كزوج ملائم، ولديّ الحجج الكافية لجعل رأيي مقبولاً. وإن أقدمتَ أنت على التدخّل في الموضوع، سأعرف كيف اتصرف لفرض ما أجده أنا الأفضل.

المشهد التاسع

اريست وكريزال

أريسْت : لقد رأيت زوجتك خارجة من هنا، ولاحظت أنك تبادلت واياها أطراف الحديث.

كريزال : نعم.

أريسْت : أهنئك على نجاحك. هل لبّينا رغبة هنرييت ؟ هل وافقت زوجتك المصون ؟ وهل تمت الصفقة ؟

كريزال : ليس تماماً بعد.

أريسْت : هل رفضت ؟

كريزال : كلّا.

أريسْت : هل هي متردّدة ؟

كريزال : لا، ابداً.

أريسْت : ما المشكلة اذاً ؟

كريزال : انها تقترح عليّ أن أقبل بصهر غيره.

أريسْت : برجل سواه ؟

كريزال : أجل، بعريس آخر.

أريسْت : ما اسمه ؟

كريزال : السيد تريسوتان.

أريسْت : ماذا قلت ؟ السيد تريسوتان ؟ ...
كريزال : نعم هو بعينه الذي يتحدّث دائماً عن الشعر واللغة اللاتينية.
أريسْت : وهل رضيت أنت به ؟
كريزال : أنا ؟ لا، ابداً. معاذ الله.
أريسْت : وبماذا أجبتها ؟
كريزال : لم أحْرِ أي جواب، ولم ارتبط بأية نتيجة.
أريسْت : حجّتك قوية، وهذه خطوة نحو ما نريده. هل اقترحت عليها على الأقلّ اسم كليتاندر ؟
كريزال : كلّا. بما أن اسم غير صهرٍ كان مطروحاً على بساط البحث، وجدت من الأنسب ان لا اتقدّم بأي عرض.
أريسْت : هكذا يتبيّن لي أن حرصنا لم يقدّمنا قيد أنملة. أولا تخجل من تهاونك. كيف تقبل بأن تبدو رجلاً ضعيفاً الى هذا الحد امام زوجتك، وَدَعْها تتخذ قراراً هاماً كالذي نحن بصدده، ولا تحرّك ساكناً ؟
كريزال : يا إلهي، أنت تتكلّم، يا اخي، على هواك. ولا تدري كم تضايقني القلاقل. فأنا ألوذ بالهدوء واللين والسلام. بينما زوجتي تقيم الأرض ولا تقعدها بمزاجها الحادّ، وذلك باسم الفلسفة التي تعتبر نفسها من أشدّ انصارها حماسةً. وهذا سرّ سكوتي وتغافلي عن غضبها ومشاكستها، يحدو بي الى مسايرة اهوائها. وعلى هذا النحو، تراها تحتقر الخير وتقاوم الحق عندما لا تماشي الوقائع تشبثها وعنادها في أتفه الأمور. ولأني لا أريد أن أقف بوجه رياح عاصفتها الهوجاء، تجدني أداريها أحياناً وأتخلّى عن حقوقي بصفتي رب البيت، وأدعها لشياطين عنفوانها وأتملّقها أحياناً كي أنجو بنفسي من ثورة حماقتها.

أريسْت : انا لست من رأيك، يا أخي. لأنك بجبانتك تركت زوجتك تسيطر عليك. وقد بَنَتْ سلطتها طبعاً على انقاض ضعفك حيالها. فما بالك تتركها تصول وتجول في أهم القضايا التي يعود البتّ فيها اليك أنت سيّد الأسرة. وها هي تقودك الآن من ارنبة انفك في مسألة زواج ابنتك. فهلّا أثبتَّ لزوجتك، ولو مرة واحدة، أنك رجل، واجبرتها وإنْ بصعوبة، على النزول عند مشيئتك

المحقّة. ليتك تتحمّس هذه المرة وتقول لها : انا اريد كذا. وتفرض ما يعود اليك حق إقراره، ولا تترك لها مجالاً لتتذرّع بواجبات الثقافة والفلسفة التي هي منها براء، لتوطيد تفوّقها وهيمنتها عليكم، يا أخي. وهي في سرّها تهزأ حتماً بجبانتك وانهزامك أمام إصرارها لا أكثر ولا أقلّ. فهلّا اثبتَّ وجودك هذه المرة في شؤون عائلتك التي تحمل إسمك.

كريزال : هذا كلام شاف. أنا أعرف اني مقصّر، يا أخي. واليوم أنوي أن أظهر رباطة جأشي وحزمي وعزمي على تنفيذ رغبتي.

أريسْت : هذا ما أودّ سماعه من فمك، يا رجل.

كريزال : لا انكر أن الإزعان لنفوذ المرأة هو من أحقر معايب الزوج الضعيف.

أريسْت : هكذا تكون الرجال، وإلّا فلا.

كريزال : بعد أن استغلّت كثيراً ليني ولطفي حيالها.

أريسْت : هذا صحيح.

كريزال : وتلذّذتْ باستبدادها على حساب كرامتي بسبب تساهلي.

أريسْت : بدون ادنى شك.

كريزال : سأعلّمها اليوم أن ابنتي هي ابنتي، واني أنا رب البيت المطاع، وانا الذي أختار لها زوجاً يكون صهري المفضّل.

أريسْت : الآن بالصواب نطقت، وبالمعقول تسلّحت كحجة قاطعة مقنعة.

كريزال : أنت تحبّذ كليتاندر وتعرف مكان اقامته، فأرجوك أن تستدعيه في الحال، يا أخي، لنبتّ بالأمر معه بدون إمهال.

أريسْت : ها أنذا مسرع اليه.

كريزال : كفاني ما تحمّلته من المهانة حتى الآن. واليوم سأبرهن للجميع أني رجل، لا أعبأ بالتهويل ولا أهاب التهديد والوعيد، لا سيما من قبل زوجتي المتفلسفة المتغطرسة.

الفصل الثالث

المشهد الأول

فيلامانت وأرمان وباليز وتريسوتان ولابين

فيلامانْت : لنتوقف عند المقاطع البليغة التي يجب علينا أن نُمعن النظر في جميع معانيها.

أرْمانْد : انا كلّي شوق الى تفحصها وتذوق روعتها.

باليز : وأنا كذلك أودّ الوقوف على كافة تفاصيلها.

فيلامانْت (لتريسوتان) : أنا معجبة بكل ما تتلفظ به شفتاك.

أرْمانْد : كلامك أحلى من العسل على مهجتي.

باليز : وانا ايضاً استلطف كل ما تسمعه اذناي من بلاغة نطقك.

فيلامانْت : لا نضع الوقت في التشوّق والانتظار.

أرْمانْد : هيا بنا اذاً الى العمل.

باليز : ولنقطف عاجلاً زهور العبقرية الفوّاحة.

فيلامانْت : ولنروِ غليل تلهّفنا الى ثمار البيان والفصاحة التي تغصّ بها القصيدة الأخيرة.

تريسوتان (لفيلامانت) : يا للأسف، هي مولودة جديدة، يا سيدتي، تكاد ترى النور، وقد تمخّضت عنها شاعريّتي كبنت الساعة.

فيلامانْت : ولكي ندرك سموّ مستواها، يكفي أن تكون أنت ناظمها.

تريسوتان : أشكرك على ثنائك الذي يأتي في محله بصفتك ملهمتها.

باليز : ما هذه البلاغة.

المشهد الثاني

هنرييت وفيلامانت وأرماند وباليز وتريسوتان ولابين

فيلامانت (لهنرييت التي تهمّ بالانسحاب) : مهلك. لماذا تهربين ؟
هنرييت : لأني أخشى الاشتراك في حوار مبطّن كهذا.
فيلامانت : لا، لا. هيا اقتربي واصغي وساهمي في سماع الدرر النادرة.
هنرييت : أنا لست من متذوّقات الصيغ العذبة كما يجب، لأني لا أمتلك براعة تنسيق القوافي.
فيلامانت : هذا لا يهمّ. اذ لديّ اقتراح أريد أن أفاتحك به.
تريسوتان (لهنرييت) : ارى أن العلوم لا تجتذبك اليها كسواك من السيدات. لأن رغبتك في الانفراد بالاعجاب والثناء تطغى على كل ما فيك من مشاعر.
هنرييت : حقاً أنت تبالغ في الحكم عليّ. لأني لا أميل الى هذا ولا ذاك مما ذكرت.
باليز : أرجوك أن تنتبه قليلاً إلى قصيدتي المولودة الجديدة الموعودة.
فيلامانت (للابين) : هيا، أيها الصبي، أجلب لنا مقاعد لنستريح عليها. (يسقط الخادم، ويرمي معه المقعد الى الأرض) ما هذا الإهمال ؟ وهل هذا وقت الوقوع، بعد أن تعلّمنا المحافظة على توازن الأجسام ؟
باليز : الا تدري، ايها الجاهل، ما هي أسباب سقوطك ؟ أوّلها حتماً عدم تقيّدك بقانون جاذبية الأرض.
لابين : لقد فهمت ذلك بعد وقوعي على الأرض.
فيلامانت : (للابين وهو يخرج) ما اثقل ظلّه.
تريسوتان : من حسن حظه انه ليس من الزجاج، وإلا لتحطّم.
أرماند : ما اخفّ ظلك وألطف استنتاجك.
باليز : انه حقاً مَعِين لا ينضب.

فيلامانْت : هيّا قدّم لنا بعض الغذاء الروحي الشهي.
تريسوتان : تعطشك الى سماع البديع لا تكفيه ثمانية ابيات جديدة كي يرتوي. لذا يجمل بي أن أضيف اليها ما تعتّق في خوابي الماضي من خمرتي المشعشعة تطلّ من خدْرها كأميرة محجّبة، وترفع خمارها عن محياها المشرق بأضواء الدلال والسحر الحلال، وتنير ببريق لحظها ما تخلقه حولها من جوّ البهجة والمرح.
أَرْمانْد : انا لا اشك لحظة في سموّ هذه الأُوِيقات الخالدة.
فيلامانْت : هيا اسمعنا اذاً، ولا تُطِلْ انتظارنا اكثر مما فعلت.
باليز (تقاطعه كلّما حاول مباشرة الإلقاء) : انا اشعر بأن قلبي منذ الآن يرقص طرباً. لأني أعشق الشعر وأهوى ما انسجم وحلّق من الأبيات، لا سيما التي تناجي الأرواح وتتغنّى بالأحبّة.
فيلامانْت : اذا واصلنا حديثنا، لن ندع لشاعرنا مجالاً لإلقاء حرف واحد علينا.
تريسوتان : قصيدة ...
باليز (لهنريت) : اسكتي، يا ابنة أخي، من فضلك.
أَرْمانْد : دعيه يقرأ.
تريسوتان : قصيدة الى الأميرة أوراني، حول إصابتها بالحمّى :

ما بال تحفّظك قد رقد،
وأروع الحركات قد فقد.
فاحتجبت عن الأنظار،
ومنك البنفسج غار.

باليز : ما احلى هذا المَطْلَع.
أَرْمانْد : وما أعمق هذا الوصف والتشبيه.
فيلامانْت : انه حقاً يملك قريحة سيّالة.
أَرْمانْد : لا بد من تقدير هذا التعبير « تحفّظكِ قد رقد » الذي يفيض رقة وعذوبة.
باليز : ولا ننسَ الإنسجام بين « الاحتجاب عن الأنظار ــ والبنفسج غار ».

باليز : لنسمع الباقي بانتباه.
تريسوتان : تحفظّك قد رقد،
ثم استفاق ووعد.
وحبيبك الولهان،
بالصبر استعان.
أَرْمانْد : ما هذا البيان الساحر في « التحفّظ قد رقد ».
باليز : ولا تَغْفَلي عن « استفاق ووعد ».
فيلامانْت : وهناك ايضاً « الحبيب الولهان ــ بالصبر استعان ».
تريسوتان : طلّي وانظري، واهملي العزّال،
ففي سمائك البدر التمام جال
ومن عليائك انزلي الى الحبيب،
الذي هتف قلبه أنتِ الطبيب.
باليز : ما اروع هذا الغزل الفائق الذي استحوذ على شعوري المرهَف.
أَرْمانْد : دعنا، ايها الشاعر الساحر أن نعجب بجمال فنك.
فيلامانْت : هذه الأبيات اخترقت أعماق فؤادي، وهيمنت نشوتها على شغاف نفسي.
أَرْمانْد : فعلاً، لم اسمع في حياتي أرقّ من هذه الأبيات الخالدة التي تغذّي الروح.
فيلامانْت : ما احلى هذه التعابير، وما أعمق هذه المعاني السامية.
أَرْمانْد : حقاً، هذه المقاطع تخلق حولنا جوّاً حالماً من الشوق والهيام.
باليز : أنا من رأيك، يا عزيزتي، وقد أسكرتني الى آخر مدى.
أَرْمانْد : كم أودّ ان أكون أنا قد نظمتها.
باليز : انها فعلاً تساوي أطول قصيدة عصماء.
فيلامانْت : ليس من يدرك مثلي عذوبة ألفاظها ودقة معانيها.
ارمان وباليز : ما هذه المبالغة.
فيلامانْت : اذا تأملنا في « طلّي وانظري، واهملي العزّال » نشعر تماماً بما تضمّنته هذه الصياغة من سحر وبلاغة. ثم « في سمائك البدر التمام جال »

نجد أبدع تعبير وتصوير. ونستنتج منها أن شاعرنا الخصب الخيال يعزف على أوتار قريحته التي تأسر المهج، أعذب الالحان والأنغام.

باليز : انا ايضاً أشهد على طول باع ساحرنا المجلّي الذي أثبت عن جدارة أنه حقاً سيّد القوافي.

فيلامانت (لتريسوتان) : لا بد من أن تكون، وأنت تنظم هذه القصيدة الفريدة، قد سكبت فيها الكثير من وحيك وفيض فصاحتك وبلاغتك حتى جاءت بهذا السبك والانسجام.

تريسوتان : ما هذا الأطناب في الثناء ؟

فيلامانت : حقاً، صوّرت، إطلالة هذه الأميرة المحمومة بريشة رسّام بارع. فأرجوك أن تعيد مقاطعها لنمعن في تذوّق دقائق وصفها البديع.

فيلامانت : لا سيما مقاطع التشبيه والتعبير الممتاز.

أرْماند : من فضلك، أرجوك أن تزيدنا نشوة باستعادة روائعها الفاتنة.

تريسوتان : « طلّي، وانظري، واهملي العزّال ... »

فيلامانت وأرماند وباليز : لله درّك من شاعر فياض القريحة.

تريسوتان : « ففي سمائك البدر التمام جال ... »

فيلامانت وارماند وباليز : ما هذا الابداع.

تريسوتان : « ومن عليائك انزلي الى الحبيب ... »

فيلامانت وارماند وباليز : يا الله، ما هذه الصياغة البارعة.

تريسوتان : « الذي هتف قلبه أنتِ الطبيب ».

فيلامانت : هذه قمة النبوغ والسحر الحلال.

ارماند وباليز : حقاً، حقاً لم نسمع أروع من هذا الشعر الساحر البيان.

تريسوتان (يضيف) : ما بالك في الليل والنهار،

عندما تستحمّين وانتِ بالإزار،

تسحرين الكون بمفاتنك،

وتداعبين الأشواق بأناملك.

فيلامانت : هذه غاية الروعة والجمال.

باليز : بها تبلغ نشوتي ذروتها.

أَرْمانْد : ولا تبقي هنا للمتعة من مزيد.
فيلامانْت : حتى بلغت بي أعلى درجات الارتعاش الروحي.
أَرْمانْد : ما اعذب « عندما تستحمّين وأنت بالإزار ».
باليز : بل ما أجمل « تسحرين الكون بمفاتنك ».
فيلامانْت : وهل هناك ابلغ من « تداعبين الأشواق بأناملك » ؟
أَرْمانْد : في كل مقطع، ألمس رخامة اللفظ وانسجام المعنى.
باليز : وما أبدع التعبير « أسبح في جوّ سحرّي ».
فيلامانْت : أنا لا أجد أقدر من رسم الصُوَر بهذه الألوان الزاهية.
تريسوتان : اذاً، أعجبتكم ابياتي هذه ...
فيلامانْت : لقد أسرتنا ونقلتنا الى عالم ساحر من الخيال المحلّق الخصيب.
باليز (لهنرييت) : أما تأثرتْ احاسيسك بهذا الشلال من الفصاحة والبيان ؟ وهل تكونين، يا ابنة أخي، مجبولة من طينة غريبة عنّا حتى لا تنبسي ببنت شفة حيال هذه القصيدة الرقيقة الفاتنة.
هنْرييت : في هذه الدنيا، كل اناء لا ينضح إلّا بما فيه. وأنا لم أتعوّد تذوّق هذه المظاهر الثقافية.
تريسوتان : ربما لم تنسجم أشعاري وذوق سيدتي.
هنْرييت : لا، ابداً. إني لم استمع اليها بكل انتباه.
فيلامانْت : هاتِ، يا استاذ، قصيدة اخرى، من فضلك.
تريسوتان : لديّ أبيات عنوانها :
في عربة أُرْجوانيّة،
مهداة الى سيدة من الأصحاب.
فيلامانْت : عناوينك تحوي على الدوام جاذباً غير مألوف.
أَرْمانْد : طبعاً لأنه فضلاً عن غزارة قريحته وخصب خياله، يبتكر دوماً كل جديد طريف ونادر الوجود.
تريسوتان : « شاء الحب أن يتحفني بأحلى المآقي ... »
فيلامانت وارماند وباليز : ما هذه الروعة.
تريسوتان : « ولأقابله بالمثل بذلتُ نصف ارزاقي.

وحين رأيتُ العربة المتهادية الجميلة،
مرصّعةً بأكداس الذهب، وداخلها الخميلة،
أخذتْ بمجامع القلوب ساحرة العيون الكحيلة،
وردّت انظار الحسّاد والعزّال أبصاراً كليلة ».

فيلامانْت : « أبصاراً كليلة » تحوي منتهى الإبداع.

باليز : إطارها حقاً ساحر، يستحق الملايين.

تريسوتان : « عندما اطلّت هذه العربة المتهادية،
يزينها الذهب وأبهج الألوان الزاهية،
وجدت العيون مشدودةً الى صاحبتها اللامعة.
متباهيةً بما رفلت به من ثياب العزّ الرائعة
تدلّ على نبالة لابستها ومكانتها العالية،
أيْقِنْ بأن كل هذا البذخ من أموالي الغالية ».

أَرْمانْد : لم نسمع أبداً مثل هذا الوصف الساحر.

فيلامانْت : انه أصدق برهان على الفكر الثاقب والذوق السليم الفائق.

باليز : « وجدت العيون مشدودة الى صاحبتها اللامعة
متباهيةً، بما رفلت به من ثياب العزّ الرائعة ».
وهذا ينسجم تماماً مع آخر بيت :
« أيْقِنْ بأن كل هذا البذخ من أموالي الغالية ».

فيلامانْت : لست ادري اذا كنتَ، منذ ان عرفتك، قد فتحت أمامي آفاق المعرفة غير المحدودة، وايقظت في أعماقي تذوّق الجمال والروعة في حقول الشعر والنثر على السواء.

تريسوتان (لفيلامانت) : إن كان لديك ما تعرضينه علينا من بنات افكارك السامية، هاتِ ما عندكِ لنسكب عليه فيض إعجابنا.

فيلامانْت : لم يعد لديّ من أبيات شعر ألقيها الآن. بيد أني أستطيع أن أقرأ لكنّ ثمانية فصول من مخططات مجتمعنا العلمي. فإن أفلاطون قد وضع مشروع إنشاء « جمهورية » وقد كتبه بالطبع نثراً. وانا ايضاً اضطررت الى سبكه في هذا القالب، إذ لم يكن من مجال لنظمه شعراً والتحليق في سماء

الخيال. لأني لا أميل إلى مثل هذه الأعمال التي تبعدني عن أجواء العواطف وتشدني إلى دنيا القوانين والشرائع الأرضية.

أَرْماند : وهذا بالنسبة إلى جنسنا اللطيف نوع من الإهانة، إذ يُقصينا عن مراتع الفن والذكاء الخلاق، ومظاهر الاغراء من تبرّج وثياب وأزياء تتبارى فيها الابتكارات والتصميمات الفاتنة وأبهى المنسوجات والحليّ ومستحضرات التجميل.

باليز : لا بد لنا من أن نترفّع عن هذه الاغراءات المادية التي لم تنصفنا في مجالات التقدم والارتقاء.

تريسوتان : احترامي وتقديري للجنس اللطيف أمر مشهور عنّي غنيّ عن التعريف. واذا خصصت العيون الفاتنة بإكرام فريد، فذلك يعود الى ما أحفظه لصويحباتها من بنات حواء في قلبي من مودة واحترام وتقدير.

فيلامانْت : نحن طبعاً نبادلك هذا الشعور ونكبر فيك توقّد الذهن وعلّو الثقافة وسعة الاطلاع. خلافاً لغالبية بنات جنسنا اللواتي لا يكترثن لهذه الناحية من الميادين العلمية. وكم منّا نحن النساء مَن عشقن العلوم والفنون وبرزن في حقول الإستنباط والابداع، والتأليف والتصنيف والاختبارات النفسية والاجتماعية. وقد إنصرفن الى نشاطات نافسن فيها الرجال، حتى على حساب كبْت عواطفهنّ أحياناً وامتناعهنّ عن الزواج.

تريسوتان : اعتقد أن لكل حادث حديث ولكل داء دواء.

أَرْماند : انا يعجبني ابيقوروس في معتقده ونظامه الذي يحبّذ إرخاء العنان لعواطف الانسان.

باليز : انا من جهتي أحب النعومة، وأميل الى الحياة السهلة المرحة، وأقدّر معالم الذكاء والفطنة.

تريسوتان : أمّا ديكارْت فقد فضّل التحفّظ والتقيّد بالنظام.

أَرْماند : انا ايضاً أحبّ ما ابرزه بتحفظٍ من عالمه الحافل بالكواكب والنجوم.

أَرْماند : كم أتوق الى الاجتماعات الرسمية والى الوقوف على الاكتشافات العلمية.

تريسوتان : المعروف عنك أنك واضحة الرؤية، لأن الطبيعة لم تحجب عنك أيّاً من أسرارها الغامضة.

فيلامانْت : بالنسبة اليّ، أنا لا احبّذ الخفاء، ولا أعرف من المتفوّقين من سبحوا في اجواء الفلك العالي البعيد عن العيان.

باليز : بينما أنا لم أبصر أبداً رجالاً حازقين، بل اشباحاً تتعثّر خطاهم في ظلال التردد والشك.

أرْمانْد : لذا ترانا نتعمّق في مبادئ الفيزياء والقواعد والتاريخ والشعر والاخلاق والسياسة.

فيلامانْت : حقاً، للاخلاق اليوم بوادر تجتذب اليها المهج والنفوس، وكانت في الماضي تشدّ اليها فطنة الأذهان وحصافة العقول. غير أن حصة المتمسّكين بأهداب الفضيلة هي الأكبر دائماً، ولا أجد في الكون أرصن من هذا الإتجاه الرزين.

أرْمانْد : من جهة اللغة علينا أن نُلمّ بقواعدها. فلا نتبجّح بأن في استطاعتنا أن نقوم في نطاقها بتغييرات أساسية. وهكذا حملنا في صدورنا الكراهية والحقد المكتسب أو الغريزي، تجاه الألفاظ، أفعالاً كانت أو اسماء أو حروفاً، لا نتخلّى عنها بتاتاً، ونصدر عليها احكاماً متفاوتة، اذ أننا نودّ أن نطهّر النثر والشعر من شوائبهما.

فيلامانْت : لكن أجمل مشروع يحققه مجمعنا العلمي هو عمل نبيل أعتزّ به، وهدف مجيد يهفو اليه شتى المثقفين وخلفائهم، قوامه ربط المقاطع البذيئة بأحلى الصيغ التي تبعد الملامة عن أصحابها. وهذه مهزلة لا نهاية لها في نظر الأشرار اينما كانوا لأنهم كأكوام النفايات لا ينجم عنهم سوى النتانة. والفساد وتخديش الحياء لا سيما الانثوي.

تريسوتان : هذه مشاريع تستحق الاعجاب.

باليز : ستطّلع على قوانيننا عندما تصبح جاهزة.

تريسوتان : لن تعدم واحدة منكنّ وسيلة لتكون عاقلة حكيمة.

أرْمانْد : ستكون في ما يخص شرعتنا، الحَكَم في الأعمال المطروحة للدرس والنقد. وبموجب قوانيننا سيدين لنا النثر والشعر معاً. ولن تكون هناك ثقافة

خارجاً عن نطاق وجودنا في الأجواء الملائمة. وفي كل مكان سنجد ما نكرّر قوله، ولن تخفي واحدة منا مقدرتها على الكتابة والتأليف.

المشهد الثالث

لابين وتريسوتان وفيلامانت وباليز وارماند وهنرييت وفاديوس

لابين (لتريسوتان) : هناك رجل يريد التحدّث اليك، وهو لابس ثياباً سوداء ويتكلّم بلطف ونعومة.

تريسوتان : هذا هو العالِم الذي أصرّ على التشرف بمعرفتك.

فيلامانت : يمكنك ان تصطحبه معك. لذا أمنحك ملء الحرية، وأفوّض اليك امر التصرف كما تراه مناسباً. (لأرمان وباليز) : علينا أن نظهر له سعة معلوماتنا ونغدق عليه الحفاوة اثناء استقباله. (لهنرييت) : الى أين أنتِ ذاهبة ؟ لقد أفهمتك بصريح العبارة اني بحاجة اليك.

هنْرييت : ماذا تريدين ؟

فيلامانْت : تعالي. سأخبركِ فيما بعد.

تريسوتان : هذا هو الرجل الذي يتوق الى مشاهدتك. ولا أخشى أية ملامة على استقبالك رجلاً غريباً عن وسطك، يا سيدتي. مع العلم أنه يستطيع أن يحافظ على مكانته بين المثقفين.

فيلامانْت : الشخص الذي يقدّمه، قد تحدّث طويلاً عن قيمته الانسانية.

تريسوتان : هو على جانب كبير من الذكاء كسائر المؤلّفين، ويتقن لغتنا نظير اهالي البلاد.

فيلامانْت : ويعرف كذلك اللغة اليونانية.

أرْماند : ما أرخم ألفاظ هذه اللغة.

فيلامانْت : الاستاذ يعرف اليونانية ؟ أسمح لي يا سيدي، حباً باليونانية أن اعانقك عناق الأخوة. (يدع الجميع يعانقونه حتى هنرييت التي لا تميل اليه) : .

هنْرييت : أعذرني، يا سيدي. انا لا أعرف اللغة اليونانية.
فيلامانْت : اني احترم كثيراً جميع الكتب اليونانية.
فاديوس : اخشى أن اضايقك بما احمله بين ضلوعي من تقدير لشخصك الكريم. وآسف إن كنت شوّشت عليك قليلاً، بعض محادثاتنا الموفّقة.
فيلامانْت : انت تعلم، يا سيدي، انك باتقانك اليونانية، لا تخسر أبداً.
تريسوتان : إنه يجيد نظم الشعر وكتابة النثر، ويمكنه أن يريك بعض تآليفه في هذين الحقلين.
فاديوس : من عيوب المؤلفين في كتاباتهم أنهم يرهقون قرّاءهم بتطويل شروحهم والتبجّح في كل مكان، في القصر وفي الباحة وفي الشارع وفي الأسطبل، بما يُلْقُونه من أشعارهم السقيمة على من يريد أن يصغي اليهم. وانا لا اجد شخصاً اكثر حماقةً في نظري، من مؤلف يلتمس المديح من الجميع ويطرح كتاباته على اوائل القادمين ويضطرهم الى تحمّل سماجته في السهرات خاصةً. بينما أنا لم أمارس هذا النوع من المبادرات الجنونية. لا سيما عندما يكون نتاجه أقرب الى التفاهة والهذيان منه الى الابداع. وهذه بعض أشعاري التي نظمتها للعشاق الجُدد، أودّ أن ألْقيها عليكم واكون لكم من الشاكرين اذا اردتم ان تعلموني بما تبعثه فيكم من شعور يستحق الذكر.
تريسوتان : لا بد لأبياتك من أن تحوي روعة لا تتضمّنها سواها.
فاديوس : النعومة والابداع من الظواهر البيّنة التي تتّسم بها اشعارك المستحبّة.
تريسوتان : تعابيرك المنمّقة وكلماتك المختارة تميّز قصائدك بكاملها.
فاديوس : في أشعارك يلمس الجميع ما تورده من أمثالٍ وحِكَم.
تريسوتان : من جهتي، لقيت في نظمك مهارة تيوكريت وبراعة فرجيل.
فاديوس : ابياتك تجمع بين الطلاوة والبلاغة والغزل الرقيق. وهكذا فاقت ما ابتدعه هوراس في زمانه.
تريسوتان : وهل أناشيدك المرحلة أحلى من الغزل الذي يفوح منه شذى الوفاء ؟
فاديوس : وهل هناك ما يعادل رشاقة كتاباتك ؟
تريسوتان : ليس أبرع من تعابيرك المتناسقة.

فاديوس : ولا أشدّ مرحاً من أبياتك المتناغمة.

تريسوتان : حقاً، أنت قد مهرت في حبْك مواضيعك.

فاديوس : وأنت في تشويق قرائك.

تريسوتان : ليت بلادك تقدّر اعمالك القيّمة ...

فاديوس : ليت هذا العصر يعطي كل ذي حق حقه.

تريسوتان : لكنت اجتزت الشوارع في عربة مرصّعة بالذهب.

فاديوس : ولكانت الجماهير رفعت لك الأنصاب والتماثيل. (لتريسوتان) : هذه بعض ابيات أودّ إلقاءها على مسمعك لكي ...

تريسوتان : أوَليْس لديك عدد منها عن حمّى أصابت الأميرة أوراني ؟

فاديوس : اجل. تُليت علينا بالأمس، عندما كنت بصحبة بعض الأصدقاء.

تريسوتان : هل تعرف من نظمها ؟

فاديوس : كلا. لكني أعرف أن هذه الأبيات، اذا اردت أن أقيّم نَظْمها، لا اتردّد في القول انها لا تساوي كثيراً.

تريسوتان : العديدون يجدونها تستحق الاعجاب.

فاديوس : هذا لا يمنع ان تستحق الشفقة ايضاً. ولو اطّلعت عليها لكنت من رأيي حتماً.

تريسوتان : انا أخالفك في هذا التصريح، وأؤكد لك ان القليلين بين الشعراء يسعهم أن يجاروه في نظم مثلها.

فاديوس : وقاني الله من التورّط في نظم أبيات من مستواها.

تريسوتان : اكرّر عليك ان القليلين يستطيعون نظم مثلها. والبرهان على ذلك هو أني أنا الذي نظمتها.

فاديوس : انت ؟

تريسوتان : نعم، أنا.

فاديوس : لستُ أدري كيف قمت أنت بهذا العمل.

تريسوتان : يزعجني جداً ان لا أكون عند حسن ظنك.

فاديوس : لا بد من أن أكون قد سهوت قليلاً لدى سماعها أو أن قارئها لم

يَفِها حقها من جودة الالقاء. على كل حال، دعْنا منها، ولنستمع الآن الى ابياتي.

تريسوتان : أعتقد أن موضوعك اكل الدهر عليه وشرب، وأصبح من عصر سالفٍ غير مرغوب.

فاديوس : مع أنها خلبت ألْباب سامعيها أينما القيت.

تريسوتان : رغم ذلك، هذا لا يمنع ان لا تعجبني شخصياً.

فاديوس : هذا اسوأ ما كنت أترقبه من إنسان في مستواك.

تريسوتان : ربما كانت قيّمة في نظر المتحزلقين.

فاديوس : لكنها على كل حال، لا تثير إعجابك.

تريسوتان : يؤسفني ان تنسب تقدير غيرك لنفسك.

فاديوس : تبّاً لوقاحتك التي تتهمني بما هو من أكبر المعايب في شخصك.

تريسوتان : ما أقبحك، ايها الغبي العنيد. أنت لا يسعك إلّا تسويد الصفحات البيضاء.

فاديوس : ما أنتَ إلّا سارق القوافي، والمفتري على مواهب الشعر.

تريسوتان : ما امهرك في التخبّط بانتحال النظم والتأليف، يا مختلس الشعر وناقل الكفر.

فاديوس : تبّاً لك من دعيّ تافه ...

فيلامانْت : هيّا اعترف بنَسَب ما سطوتَ عليه من اشعار سواك، وردّها الى صاحبها الحقيقي، ايها اللص الخسيس، يا مَن تدّعي لنفسك تآليف الاغريق والرومان.

فاديوس : إذهب واعتذر من سكان قبور مدفن برناس، يا من يكفيك أن تكون قد هشّمت اشعار هوراس.

تريسوتان : تذكر كتابك الساقط الأخير، والتنديد الحقير الذي لقيه عن استحقاق.

فاديوس : وهل نسيت انت أن بائع كتبك كان مصيره المستشفى.

تريسوتان : مجدي وطيد وشامخ، لا سبيل لك ان تطاله لتحطّمه.

فاديوس : كم أودّ ان ارسلك الى ناظم قصائد الذم والقدح ليفيك حقّك.

تريسوتان : بل أنا الذي أودّ ان ارسلك اليه ليصبّ عليك سيل نقمته وحقده.
فاديوس : يسرّني ان اخبرك انه عاملني معاملة اشرف من التي خصّك بها. هو لم يستطع أن يشوّه سمعتي بانتقاداته الهزيلة التي تطال من يضمهم العدد الكبير من جماعة المؤلّفين الذين يكرمهم أرباب القصر الملكي، اذ جَلَّ من لا يخطئ في هذه الدنيا. اعلمْ ان أشعاري هي فوق كل الانتقادات، ولا بدّ من أخذها بعين الاعتبار وخصّها بمنتهى التقدير.
تريسوتان : هنا حظيت أنا بالمقام المشرّف. بينما أنت ليس من نصيبك إلّا احقر المراتب. فقد نالك التحقير، ولم يفتك رمْي أشعارك الى كومة الأقذار النتنة. قد يتطرق خصمي الى مهاجمتي، لكنه حتماً يرتدّ على اعقابه أمام جبروت قريحتي الخلّاقة ونبوغي المحلّق في سماء الفن والابداع. ولم يبلغ أي نجاح كل من حاول تهشيم قصائدي المعصومة وتشويه سمعتي العطرة التي لا تُمسّ.
فاديوس : ستخبرك ريشتي ما هي مقدرتي، عندما تقارن نتاجك في القريب العاجل.
تريسوتان : وريشتي انا ستبرهن لك من هو سيّد الشعر والنثر معاً، وسيدك ايضاً ايها العاجز في هذا الميدان الفسيح.
فاديوس : انا أتحدّاك شعراً ونثراً وفي اليونانية واللاتينية.
تريسوتان : اذاً سنتقابل قريباً وجهاً لوجه عند الناشر المعهود.

المشعد الرابع

تريسوتان وفيلامانت وأرماند وباليز وهنرييت

تريسوتان : لا تلوميني على تصرفي. فإني دافعت عن موقفكِ، يا سيدتي، بالنسبة الى القصيدة التي تجرأت على مهاجمتها.
فيلامانت : سأجتهد لتسوية هذا الخلاف. والآن دعنا نتكلم عن مسألة اخرى هامّة. تقدّمي، يا هنرييت. فمنذ زمن طويل انا قلقة على عدم إظهارك اي ميل

للثقافة والعلوم. غير أني وجدت وسيلة لكي ازرع في نفسك حب الإطّلاع والتقدّم.

هنْرييت : لا داعي لهذا الاهتمام بي، فلن يؤدّي الى اية نتيجة. أنا بطبعي لا أميل الى العلوم، بل أحب أن أعيش ببساطة وهناء. وليس لي أي طموح في دنيا الثقافة. ما دمت راضية، يا عزيزتي، بأن أظل جاهلة. ولا يهمني أبداً أن أتعلّم استخدام الكلمات الرنّانة.

فيلامانْت : انت تجرحين احساسي بقولك هذا، يا ابنتي، وتنزلين بي العار بعد ان بلغتُ انا شأوا لا بأس به في عالم الحضارة والرقي. ألا اعلمي ان جمال الوجه سمة عابرة تشبه زهرة سريعة الذبول، ورهجة آنيّة لا تلبث أن تزول. إذْ لا يتعدّى هذا الجمال كونه سطحي يتعلّق بالبشرة وهي مجرّد جلد كالذي يكسو سائر الجسم. غير أن جمال الروح ليس له آفة، وهو ثابت يدوم كجمال الفن الذي لا يمكن أن تعبث به السنون وتصيبه بأي تغيير. فعندما تختزنين كنوز العلوم تتحلّين بأطرف المعرفة في كافّة المجالات، لأن الفكر يستوعب جواهر من العلم لا تصل اليها يد سارق ولا يهددها أي عامل اهتراء. وهكذا يسعك ان تشدّي اليك رجل ثقافة مرموق يهيم بحبك. وهذا الرجل هو السيّد الذي أعيّنه لك، وقد إخترته لشخصك كي تنعمي بصحبته في جنة الحضارة على الأرض تضم سعادة العلم وسعادة الزواج معاً.

هنْرييت : أنا، يا أمي ؟

فيلامانْت : اجل أنت. لا تتغابي ابداً في حضوري، يا عزيزتي.

باليز (لتريسوتان) : كلّي آذان صاغية. وعيناي ترقبان تصريحك لكي اشدّ وثاق قلبي الى شخص آخر، وأنا أريد زواجاً يحظى بموافقتك.

تريسوتان (لهنريت) : لست أدري ما يجب عليّ ان اقول لك بسرور وابتهاج، يا سيدتي، فهذا الزواج يشرّفني ويسعدني. ولكن ...

هنْرييت : مهلاً. تردّين عليه هكذا ؟ هل علمت ؟ ... كفى. أتسمعينني ؟

(لتريسوتان) : لا بدّ من ان تحكّم عقلها في هذه القضية. دعها الآن وشأنها.

المشهد الخامس

هنرييت وارماند

أرماند : ألاحظ أن والدتنا مهتمة بك، هذه الأيام، اهتماماً خاصاً. ولا يمكنها ان تقدّم لك زوجاً أكثر شهرة من هذا الرجل.
هنرييت : اذا كان اختيارها مناسباً الى هذا الحدّ، لماذا لا ترضين انتِ به ؟
أرماند : هو يفضّلك أنتِ، ويده ممتدة إليكِ لا اليّ.
هنرييت : اني أتنازل عنه لكِ، بما أنك اكبر مني سنّاً.
أرماند : لو كان الزواج يبهر انظاري كما هو حالك، لرضيت بعرضه فوراً وبكل ابتهاج.
هنرييت : لو كنت أهوى مثلك المثقفين والشعراء لوجدته ربما نصيباً ممتازاً.
أرماند : مع أن أذواقنا متباينة جداً، علينا أن نخضع، يا أختي، لمشيئة أهلنا. فإن لوالدتنا ملء السلطة على مصيرنا بصفتنا بناتها. وهل تظنّين انك بممانعتك تتوصّلين الى ...

المشهد السادس

كريزالد وأريست وكليتاندر وهنرييت وأرماند

كريزال (**لهنرييت وهو يقدّم لها كليتاندر**) : هيّا، يا ابنتي، عليكِ ان ترضي بمن اجده مناسباً لك. فاخلعي قفازك، وامسكي بيد هذا الشاب، واعتبريه من الآن وصاعداً رفيق روحك وزوجاً أريد أن تصبحي قريباً امرأته.
أرماند : من هذه الناحية، يا اختي، أنا أعرف أنك تميلين اليه.
هنرييت : أجل، علينا أن نخضع لمشيئة وليّ أمرنا، لأن لوالدنا، فعلاً علينا سلطة كاملة يجب الازعان لها في جميع الأحوال.
أرماند : لوالدتنا ايضاً علينا حق إطاعتها.
كريزال : ما معنى هذه المداورة في الكلام ؟

أَزْمانْد : اقول لك بصراحة اني اخشى ما سينجم عن إهمال موافقة والدتنا، وهي التي تصرّ على منح يد أختي لزوجٍ آخر.

كريزال : أصمتي، ايتها الثرثارة. إذهبي وتفلسفي لدى أمك. ولا تدخلي ابداً في شؤوني وشؤون شقيقتك. قولي لوالدتك اني قرّرت نهائياً ما قررته، ونبّهيها الى وجوب الكفّ عن معارضتي والى عدم الجدوى من مناقشتي في هذا الموضوع الهامّ الذي صمّمت على البتّ فيه كما بينته الآن. هيّا إمضِ واخبريها في الحال.

أريسْت : حسن جداً. لقد تمّت المعجزة التي كنت أترقّبها.

كليتانْدر : ما اسعدني، وما أحسن حظّي. لقد حقّقت املي وبلغت امنيّتي.

كريزال (**لكليتاندر**) : هيّا، يا رجل، أمسك بيد ابنتي وسيرا امامي. (لأريست) : أوصلها الى غرفتها. ما اطيب المداعبات. ها هو قلبي يرقص طرباً للمناجاة الحلوة بين المحبّين. فإن هذه الأفراح تعيد الشباب الى شيخوختي، وتذكّرني بأيام عرسي ومسرّات لياليه البهيجة.

الفصل الرابع

المشهد الأول

ارماند وفيلامانت

أَرْماند : لم يوازِ شيء في ذهني تعنّتها في إطاعة والدنا، هي التي سايرت دوماً هوى قلبها امامي، وخضعت لدوافع حبها غير مبالية بتحدّي اوامر امّنا وإغضابها.

فيلامانت : سأعلّمها لأية مشيئةٍ منا نحن الاثنين، انا أو والدها، عليها أن تزعن. هي تظن أنها بالاستماع الى صوت عقلها تحقّق احلامها. ولا تدري بعد من منا نحن الاثنين أنا أو زوجي، يفرض نفسه هنا في هذا البيت، فتطاع كلمته الأخيرة حتماً. وهي لا تعلم بعد إن كانت عوامل الروح أو الجسد، الفكر أو القلب، تسود هنا.

أَرْماند : أنت تستحقين الثناء، يا أمي. وهذا الشاب يعرف جيداً من أين تؤكل الكتف حتى يصبح رغماً عنك صهرك زوج ابنتك.

فيلامانت : هو لا يعرف بعد كيف يلبي نداء القلب الذي يهواه. لقد وجدته يلائمك، لأني أعرف ميلك إليه. لكنه بتصرّفه غير الواعي، قد أزعجني من حيث لا يدري. هو يعلم أني لا أهوى تآليفه، فلم يطلب مني يوماً أن أقرأ كتاباته.

المشهد الثاني

كليتانْدر (يدخل متمهلاً ويحاول ان لا يدع أحداً يبصره) :

وأرماند وفيلامنت

أرْماند : انا لا أرضى بأن يكون هذا الرجل، زوج هنرييت. وارى أن لا لزوم لمحادثتي في موضوعه، لأن هذا يزعجني. وإن اراد أن يأخذني بالحيلة والمراوغة، فلن أكون أنا مسرورة، ولن يصل هو الى غايته المنشودة، وإن استخدم كل اساليب الفلسفة في هذا السبيل. من جهة ثانية هو إنسان له صفات حميدة، وأنا أقدّر فيه هذه الميزة.

فيلامانْت : صدّقيني، إنه ليس إلّا أحمق مسكين.

أرْماند : مهما قلتِ عنه، انا افهم دوافعك. لأنه لم يكن يوماً مطابقاً لرأيك.

فيلامانْت : تبّاً له من خشن الطباع متعجرف.

أرْماند : اني افهم موقفك بالنسبة اليه. فكم من مرة تلوت كتاباتك عنه، وأدركت ما تضمرين له من حقد وبغض.

فيلامانْت : ما أوقحه.

أرْماند : وكم من مرّة جرى بينكما نقاش حادّ، وكم من مرّة نَعَتّه بالغباء.

كليتانْدر : مهلاً، مهلاً. ارجوك، يا سيدتي، ان تشمليني بحلمك، وأن تنظري اليّ بعين الحق والانصاف. أية إهانة وجهت اليك ؟ وأي شرّ اصابك بسببي حتى تناصبيني كل هذا العداء ؟ إن كنتِ بذلك تقصدين تكريه ابنتك بي وإسقاطي في نظر من أحتاج اليها كالهواء الذي أتنشقه، فأنت واهمة. كل ما اطلبه منك هو أن تعامليني بشهامة، وتنظري الى رغبتي بتجرد ونزاهة.

أرْماند : لو كنت اقصد التشهير بك وإذلالك في أعين محبيك لكنت لجأت الى طرق فعّالة. لكن ما أريده منك هو أن تفتح عينيك وأذنيك وتدرك واقع الحال الذي لا تنوي أن تراه، وهو أن هناك قلباً يخفق بحبك ويتوق اليك، وأنت متغافل عنه. فبربّك، اعلم أن كل انسان جاحد يتعامى عن الحقيقة، هو مسخ عديم الادراك ميت الضمير.

كليتانْدر : هل تعتبرين، يا سيدتي، جحوداً أن لا يقبل الرجل ما عاملتِه به من

شموخ وكبرياء. إن لي كرامة غالية، وأرفض الانصياع كالأبله، والخضوع لمشيئة امرأة متعالية متجبّرة. واذا اعتبرتِ وضعي بالنسبة اليك مهيناً، فأنتِ وحدك السبب في إعراضي عنك. لا لأنك في بادئ الأمر خلبتِ لبّي وملكتِ قلبي، وكنت أنا أتجاوب ورغبتك، وأزمعت ان اكرّس حياتي لإسعادك كزوج مخلص أمين. لكن تقديم التضحيات والخدمات وتتميم الواجبات في سبيل امرأة متكبرة، أعدّها تضحيات لا جدوى منها عند أقدام هيام متغطرس مستبدّ. لأن كل ما أغدقته عليك من مودّة وتكريم قد ضاع سدىً، وأنت تطلبين مني الخضوع والازعان أوّلاً وآخراً، ضاربة عرض الحائط بأغلى أمانيّ وأعز أحلامي. وحين ثَبُت لي أن جهودي لإرضائك غير مفيدة، إذ أبَيْتِ أن تعترفي بحقوقي وتصوني كرامتي، حوّلت عنك حبي واخترت سواك. فهل هذا هو ذنبي، يا سيدتي، أمْ ذنبك أنتِ ؟ وكما أوضحت لك مراراً وتكراراً، أنت التي تخليت عني، واقصيتني عن جنة هواك، ولم اكن ابداً أنا البادئ، والبادئ أظلم، كما تعلمين.

أَرْمانْد : أنتَ تلومني على معارضتي تصرفاتك. وهل تعتبرني مخطئة إن حاولت أن أخلّصك من أفكارك السمجة، و ان ارفعك الى مستوى أعلى مما أنت فيه. ان كنتَ لا تجد أن الحب ينمو بالنزوع الى الكمال، وبتعشّق الجمال، فباطلاً تسعى الى الحصول على السعادة القائمة على اتحاد القلوب وتفاهم العقول. وإلّا كان ما تنشده من الهوى سراباً في صحراء قاحلة. أنا لا أستوعب كيف تأمل التوفيق والتفاهم بين شخصين متحابّين خارج نطاق الأفكار السامية والفنون الجميلة التي لا تقدّرها إلّا النفوس الكبيرة. وما دامت اهدافك أرضية، فلا أظن أنك تستطيع بلوغ مصافّ المحظوظين الذين ينعمون في عالم الروح والخيال والنبوغ. أنتَ تتشبّثَ بالملذات الأرضية والأحاسيس الملموسة، ولا تأبه لخلجات النفس المحلّقة في سماء الفكر والقريحة الخلّاقة. وفي ذلك برهان دامغ على أنك لن تكون أهلاً أبداً لما أحلّق أنا فيه من أجواء الحضارة والرقي. اراك كغيرك من الرجال والنساء، تتعلّق بالرغبات الحسيّة المادية وهي القشور، ولا تبالي بالمشاعر النفسية التي تفوق كافة الشؤون الزمنية. لا بد للهوى من أن يتجاوب في دنيا العواطف، والنفحات العطرة

المعبّقة في آفاق الهيام، الزاهية تحت ظلال فردوس الثقافة والعلم، وان لا تظل الحواس أسيرة متعطّشة الى ملذات الدنيا الجسدية. ان كل ما أرمي اليه الآن هو انتشالك من وهدتك المظلمة لأنقلك معي الى عالم النور والحقائق الجوهرية المترفعة عن أمور الدنيا ومشاغلها.

كليتانْدر : اسمحي لي يا سيدتي، أن أصارحك بأن لي نفساً روحانيّة، كما أن لي جسداً أرضياً. ولا سبيل في نظري لفصل الروح عن الجسد. فقد حرمتني السماء نعمة فلسفتك التي لا تؤمن إلا بمواهب الذهن، وتطمح الى اتحاد القلوب من خلال تعانق الأفكار. بينما هي تزدري بتبادل المشاعر الحسيّة. اكرر عليك أن ما ترينه رفيعاً ومميّزاً عن المبتذل الذي تُعرضين عنه، أنا لا أنظر إليه بنفس منظارك. وهنا يكمن الفرق الشاسع الفاصل الذي باعد بيننا نحن الاثنين. انت تقدّسين النبوغ والابداع، وأنا أطلب ما يطفئ ظمأ قلبي الى الحب والحنان. أنت تسرحين في آفاق الخيال البعيدة، وأنا أريد أن أعيش على الأرض بمرح وسلام. وما أبعد المسافة بين هدفينا، وما أكبر البون الشاسع بين نظرتينا الى شؤون الحياة التي لا أريد أن أستغني عنها.

أرْمانْد : اذاً، مع أنك، يا سيدي، لا تودّ إلّا أن تُضْفي الواقعية على مناشدتي حبك، لأن أحاسيسك الأرضية تشدّك الى اسفل، ومع أنك مصرّ على التمتع بالملذات المادية الجسدية، اذا قبلتْ امي بتلبية طلبك، فأنا لا أمانع الآن تحقيق هذه الأمنية العزيزة على قلبي أنا ايضاً.

كليتانْدر : لقد فات الأوان، يا سيدتي، وصبيّة أخرى احتلت مكانك. فإن أنا بدّلت موقفي أدوس قلبي وأظلم قلب سواي. وليس من طبعي أن أتنكّر لمن أجد الآن فيها سبب سعادتي وحياة مهجتي ورفيقة عمري ولا سيما من تصون كرامتي وتحفظ عهدي.

فيلامانْت : وهل تعتمد، يا سيدي على موافقتي لتحقيق حلمك في هذا الزواج ؟ ألا اعلمْ أني صممت على زفّ هنرييت لسواك.

كليتانْدر : ارجوك، يا سيدتي، أن تعيدي النظر في اختيارك. وأسألك أن تصارحيني بما ترينه فيّ من الدواعي المحقّة المبرّرة لرفضك طلبي، واعتباري خصماً ومزاحماً لتريسوتان. ان ما تحفظينه من حب الثقافة، وقد رفعها زيّ

الوقت الحاضر الى أعلى المراتب، يحبّذ زوجاً لابنتك نظير تريسوتان. ولكن لا تنسي أن هذا الشخص لم يتوصّل الى خداع أحد، والكل يلمسون بعده عن الواقع في ما ينظمه من أشعار، بينما أنت تضعينها على سبيل الهواية، في مستوى النبوغ. وها هم معظم عارفيه لا يؤيدون ما ينسب اليه من قِيَم وهميّة خلاف ما تتصوّرين.

فيلامانْت : ان كنت تنظر اليه نظرة مختلفة عنّي، فلأني أراه بعين لا تشابه ابداً عينك الكليلة.

المشهد الثالث

تريسوتان وأرماند وفيلامانت وكليتاندر

تريسوتان : أتيت لأبلغكم نبأً ساراً. فقد أبصرت في الحلم، يا سيدتي، أننا نجونا من كارثة فظيعة، اذ مرّ بالقرب من عالمنا إعصار هائل، لو داهم أرضنا لكنّا هلكنا جميعنا وتناثرنا حطاماً كما ينكسر الزجاج ويتفتّت.

فيلامانْت : لنترك هذا الحديث الى فرصة أخرى. فهذا كلام لا يستند إلى أي منطق بل هو مجرد هراء صادر عن جهل لا يدرك كنه الأمور.

كليتانْدر : لا بد لهذا الحال إذاً من تغيير. وهنا أشرح قصدي، يا سيدتي. فبما أني بعيد عن جد العلم والثقافة التي تشوّه جوهر ميول البشر، أفضّل أن أظلّ في مصاف المغفّلين الجهلة عل أن أكون عالماً نظير بعض المتيّمين من عشاق الحضارة والرقي.

تريسوتان : انا لست من الرأي القائل : ان العلم يفسد الضمائر.

كليتانْدر : هذا شعوري الشخصي الصادق، وأقرّ بأن العلم لا يستبدّ إلّا بالحمقى المتغابين.

تريسوتان : هذا استنتاج خطير.

كليتانْدر : بدون أن أمتاز بأية مهارة خاصّة، أعتقد أن من السهل عليّ أن اثبت قولي، لأني امتلك الحجج الدامغة، والأمثال كثيرة على صحة كلامي.

تريسوتان : بإمكانك أن تقدم لنا بعضها بدون أن تصل الى أية نتيجة مرضية.
كليتانْدر : لن أحتاج الى كبير عناء كي أبرهن على ما يدعم تأكيدي.
تريسوتان : بالنسبة اليّ، أنا لا أجد هذه الأمثلة صالحة.
كليتانْدر : بينما أنا أراها قاطعة كما تظهر للعيان.
تريسوتان : لقد اعتقدت حتى الآن أن داعي الحماقة هو الجهل لا العلم.
كليتانْدر : أؤكد لك أن ظنّك خاطئٌ لأن أحمق العلم يفوق غباءً احمق الجهل.
تريسوتان : العَرْف يدحض حججك، لأن الحماقة والجهل مترادفان متوازيان.
كليتانْدر : ان كنت تريد أن تكتفي بالمعنى الحرفي، فالترابطِ أقوى بين الأحمق ومدّعي العلم.
تريسوتان : الغباء في احدهما ظاهر بكل جلاء.
كليتانْدر : والتفلسف في الآخر يندمج بطبيعة الانسان.
تريسوتان : بينما المعرفة تحافظ على قيمتها مهما كان الأمر.
كليتانْدر : أجل، لأن المعرفة في رأس الأبله تغدو وقاحة مزعجة كالسلاح الجارح في يد الجبان.
تريسوتان : لا بد من أن يكون للجهل جاذب خاص في نظرك. ما دمت تدافع عنه بهذا الحماس.
كليتانْدر : اذا كان للجهل عليّ مثل هذا السحر، فالفضل لما لقيته من أثر سيّئ على بعض العلماء والمثقفين والأعياء.
تريسوتان : لا يغرب عن بالك أننا نرى ظواهر بعض العلماء بادية على كثير من الناس المخدوعين.
كليتانْدر : لو كان مرجعنا بعض هؤلاء العلماء، لكنّا لَمَسْنا ذلك في العديد من البشر.
فيلامانت (لكليتاندر) : يبدو لي، يا سيدي، انّ ...
كليتانْدر : ارجوك، يا سيدتي، ان تعلمي ان هذا السيد قويّ الحجة الى حدّ انه لا يحتاج الى مساعدْة. فأنا لا أهتم لمهاجمة أمثاله. وللدفاع عن نفسي، يكفيني أن أتغافل عنه قليلاً.

أَرْمانْد : لكن ردّ الهجوم بما تفعله ...
كليتانْدر : اذا واصلتِ نقاشكِ أنسحبُ.
فيلامانْت : هذه المساجلة غدت كالتراشق. والأفضل أن لا تبلغ حدّ التعرّض للأشخاص المتباحثين.
كليتانْدر : يا الهي. هذا لا ينطوي على ما يغيظ. لأن ما يجري في الحقيقة هو تنكيت مرير بين رجلين متزاحمين. فإن استاء احدهما، فلا يحق له أن يعتبر ذلك أكثر من منافسة حرّة.
تريسوتان : هذه المعركة لا تدهشني، لأن كلاً من الطرفين يبرز حججه، كما يتمّ ذلك في المحكمة، حيث يَعرض كل من الخصمين قضيته من وجهة نظره. والمحكمة ليس من شأنها ان تساند الجهل وتشدّ إزره، بل على المترافع أن يدافع عن حقه.
كليتانْدر : اراك تنتقد المحكمة التي لا يروق لها ان ترى كل يوم جماعة المثقّفين ينتقدونها ويصبّون جام غضبهم عليها، لأنها في خلافاتهم المتأرجحة لا تراعي شعورهم، ولا تجرّ الحق جرّاً الى جانبهم. هنا، إسمح لي، يا سيدي تريسوتان، على سبيل إسداء النصح، أن اسألك التقيّد باحترام آراء أخصامك، والامتناع عن التنديد بالمحكمة حين لا تنحاز الى مصالحك. فعليك أن تخفّف من حدّتك عندما تتكلم عنها، لأنها ليست غبيّة كما تظنّها، ولديها قوانين تضطر الى تطبيقها ومراعاتها في إصدار قراراتها، وإن لم تناسب ذوقك ومرامك. اذاً، لا بد للمرء من أن يكون نزيهاً متجرّداً، وأن لا يتحامل على أحكامها. أخيراً، إعلم أن الثقافة في هذه الدنيا نوع من الإدّعاء، ولا تحنقْ بسبب ما أقول، لأني بعيد عن أن اتملّق أياً كان، كما أني بعيد ايضاً عن ذمّ اي كان بدون سبب.
تريسوتان : هذا ينمّ على ذوقك ولطفك، يا سيدي.
كليتانْدر : وأين ترى الخلل في ما بيّنته لك من تفكيري.
تريسوتان : ارى بوضوح أن بعض الرجال يرفعون بعلمهم شأن بلادهم فيعمّ فضلهم جميع مواطنيهم بدون أن يلجأوا الى طلب مساعدة اية محكمة.
كليتانْدر : لا يخفى عليّ حزنك، وأرجو أن يحول تواضعك دون الإنضمام

الى هذه القافلة من الافذاذ الذين لا يفيدون الدولة بشيء من معرفتهم وعلمهم. فماذا تنفع كتاباتهم، ما داموا لأتفه الأسباب يتنكّرون لها ويهاجمون عدالتها ؟ وهم على كل حال، يتذمرون من قلّة تقديرها اياهم ومن تقصيرها في تمجيد مواهبهم النادرة، ويعتقدون أن من واجبها أن تساهم في نشر كتب المؤلفين وتغليفها بجلد العجل، بل أن تغدق عليهم المنح وفاءً لجهود شخصياتهم. مسكينة هذه الدولة التي لا تقوم بواجباتهم تجاه أمثالهم الجهابذة الذين يظنّون أن الحكام لا يمكنهم أن يحتفظوا بمناصبهم لولا كتابات أصحاب القرائح السيّالة من شعراء ومؤلّفين، لا همّ لهم سوى الاستئثار بالتكريم والمديح والمكافأة على ما يبذلونه من جهود جبّارة لإنارة الأذهان وتوطيد أركان الحكم. وهم في الحقيقة يبثّون أحياناً سموم التفرقة ويزرعون بذور الشغب بآرائهم التي لا تترفّع عن الابتزاز. ويعزون كل الفضل في استتباب الأمن والعدل، إن كان هناك من عدل وأمن، الى علمهم وثقافتهم وسعة إطّلاعهم. وقد أسكرهم ما توصّلوا الى تأليفه من كتب ونظمه من قصائد قلّ نفعها وكثر أذى بعضها بحجة نشر الثقافة والعلم.

فيلامانْت : كم أثار فيك روح الحماس خصمك الذي يزاحمك ويعرقل وجوده تحقيق مشروعك ...

المشهد الرابع

جوليان وتريسوتان وفيلامانت وكليتاندر وأرماند

جوليان : حضرة العالِم زارك من عهد قريب والذي يشرّفني أن أكون خادمه، يا سيدتي، يرجوكِ ان تطّلعي على هذه الورقة.

فيلامانْت : مهما كان هامّاً ما تطلب مني ان اقرأة، أعلم، يا صاحبي، أن من الحماقة مقاطعة حوار يدور بين أشخاص، عليك أن تستأذنهم لتوجّه اليهم حديثك كخادم مهذب.

جوليان : سأدوّن هذا في كتابي، يا سيدتي.

فيلامانت (**تقرأ**) : « تريسوتان، يا سيدتي الكريمة، هناك رجل دعيّ، نشر خبر إقترانه بإبنتك. فاسمحي لي أن أصارحك بأن فلسفته لا تطمع إلّا بأموالك. وأنا أسألكِ أن لا تبتّي بأمر هذا الزواج، قبل أن تطّلعي على القصيدة التي نظمتها لأشرح للجميع واقع حاله وأفضح خداعه. وبانتظار إطّلاعك على الصورة التي رسمتها له على صفحات مجلّدي، أرجوكِ ان تتفضّلي وتلقي نظرة فاحصة على مؤلفات هوراس وفرجيل وتارانس وكاتول، التي أرسلتها لك مع خادمي. وقد وضعت علامات الى جانب المقاطع التي انتحلها من الشعراء الفطاحل المذكورين، ويدّعي أنها من نظمه ».

فيلامانت (**بعد استراحة قصيرة تتابع القراءة**) : « اليك، يا سيدتي بما وعدتك به لكي تعرفي مستوى هذا العدو الدجّال الذي يأتيك بثوب الصديق بغية الوصول الى غايته الدنيئة، كما ذكرت لك ». (لجوليان) : خذ هذا لمعلمك وقلْ له اني أقدّر مصارحته، واريد التقيد بها. (تشير الى تريسوتان) : وانت، يا سيدي، بصفتك صديق الأسرة، ادعوك الى حضور حفلة توقيع عقد العروسين أمام الكاتب العدل ... وأنتِ يا ارماند، أرجوك أن تستدعي الكاتب العدل، وأن تنقلي هذا الخبر المفرح الى شقيقتك.

أرْماند : لا حاجة الى تنبيه اختي، فهذا السيد يهتمّ بذلك، ويذهب بنفسه لينقل حالاً هذا النبأ إليها هي المتشبثة برأيها.

فيلامانت : سنرى من الذي سيكون تأثيره على تعنتها أقوى من سواه، اذا لم تزعن لما يجب عليها أن تقبل به من الاثنين. (تذهب) : .

أرْماند : يؤسفني أن ألاحظ ان الرياح لا تجري كما تشتهي السفن.

كليتاندر : انا ذاهب، يا سيدتي، لأسعى بهمة، وحماس، آملاً ان لا تبقى اية حسرة في القلوب.

أرْماند : اخشى أن لا تسفر جهودك عن النتيجة المرضية المتوخّاة.

كليتاندر : اتمنى أن يخيب ظنك في هذا الموضوع.

أرْماند : وأنا أيضاً أتمنى فشل مساعيك.

كليتاندر : اني مقتنع بسموّ هدفي، وارجو أن تساعديني على بلوغ مرامي.

أَرْمانْد : أجل، أنا مستعدة للسعي بكل قوتي الى تحقيق أمنيتي.
كليتانْدر : وعلى هذه الخدمة الجليلة، لك منّي كل شكري وامتناني.

المشهد الخامس

كريزال واريست وهنرييت وكليتاندر.

كريزال : بدون مساندتك، يا سيدي، لن أبلغ غايتي ولن أكون مسروراً، لأن السيدة زوجتك رفضت طلبي، بسبب عزمها على زفّ ابنتها الى تريسوتان الذي تُفضّل ان يكون صهرها.
كريزال : ما هذه الأهواء التي تنقاد اليها كالعميان ؟ ولماذا تُفضّل هذا اللعين تريسوتان ؟
أريسْت : لأنه يتقن رصف القوافي، وقد نال الحظوة في عينيها، وقد أقصى من ذهنها صورة خصمه ومزاحمه.
كليتانْدر : وهي منذ الليلة، تودّ أن تستعجل إتمام الزواج.
كريزال : منذ هذه الليلة ؟
كليتانْدر : أجل، هذه الليلة بالذات.
كريزال : وأنا في هذه الليلة عينها، لكي أغيظها، سأعقد قرانك على ابنتي التي تحبها وتريدها كشريكة حياتك.
كليتانْدر : ولتنظيم العقد، بادرت زوجتك الى استدعاء الكاتب العدل.
كريزال : وأنا سأستدعيه ليكتب العقد لصالح من أفضّل أنا أن يكون صهري.
كليتاندر (**يشير الى هنرييت**) : وهذه السيدة ابنتك ستأتي شقيقتها بعد لحظة لتؤكّد لها أنها ستُزفّ عاجلاً الى من يهواه قلبها.
كريزال : وانا آمرها بكل سلطتي الأبوية ان تتهيأ للاقتران بمن افضّله أنا. وسيرى الجميع من هو السيد والآمر المطاع في هذا البيت. (لهنرييت) : سأعود حالاً، ففكّري بالمسألة جيداً، وهيا، يا أخي، وأنت يا صهري العزيز، إتبعاني لنتدبّر شؤوننا.

هنرييت (**لأريست**) : على هذا الأساس أرجوك، يا عمي، أن تسهر عليه كما يجب.

أريسْت : انا مستعد لبذل كل جهودي في سبيل صيانة حبك وسعادتك.

كليتانْدر : مهما رأيت الجميع ينوون مساندتي ومساعدتي، المهمّ، يا سيدتي ويا أملي الوحيد في الحياة، أن يكون فؤادك دوماً معي.

هنْرييت : من جهة قلبي، كن على يقين بأنه لا يقوى على الابتعاد عنك.

كليتانْدر : لا تتمّ سعادتي إلّا برضاك ومؤازرتك جهودي.

هنْرييت : أنت ترى كم لقيت من المعارضة لأتخلّى عنك. لكن كن واثقاً بأني لن ارضى عنك بديلاً.

كليتانْدر : لن أخشى الفشل، ما دمتِ دائماً معي.

هنْرييت : سأحاول بذل كل ما بوسعي لتحقيق أغلى أمنياتي وأعذب أحلامي بصحبتك. واذا لم تثمر مساعيّ، فهناك حلّ يحول دون نجاح أي تبرير لِزَفّي الى احد سواك.

كليتانْدر : ارجو أن تمنّ السماء علينا بالفوز والتغلب على كل الصعاب في سبيل دوام حبّنا وتحقيق سعادتنا معاً.

الفصل الخامس

المشهد الأول

هنرييت وتريسوتان

هنْرييت : اردت، يا سيدي، ان أكلّمك على انفراد في موضوع الزواج الذي تتوق اليه والدتي. وكل أملي، نظراً الى الفوضى السائدة على بيتنا أن أتوصل الى إقناعك بالمعقول. اني أعرف جيداً بأن ما يحملك على الاقتران بي هو مبلغ بائنتي الضخم الذي ستحصل عليه بهذه الوسيلة. لكن المال الذي يقدّره الجميع، ليس في نظر الفيلسوف سوى طُعْم لا يستحق الذكر. وأنا أعلم جيداً أيضاً ان كتاباتك تدعو الى ازدراء المادّيات والعظمة الفارغة.

تريسوتان : ليس هذا ما يجعلني أتعلّق بك واكون اسير حبك. لأن جمالك وصفاتك الحسنة ونعومتك هي الثروة الحقيقية التي أطمع بها وتشدّني الى شخصك الكريم.

هنْرييت : أشكرك على عواطفك وتقديرك. لكني أعتذر عن عدم امكاني تلبية رغبتك. أنا اقدّر موقفك، غير أني بكل صراحة أعلن لك أني لا أستطيع أن أحبك وارضى بك زوجاً. لأن قلبي قد مال الى سواك، كما تعلم، وقد امتلكه كليتاندر، ولا حيلة لي باسترداده منه. ربما حكمتَ عليّ بأني لم أحسن اختيار زوجي، وتتساءل كيف أتغاضى عن عبقريتك التي تفترض أنت لا بد من أن ترضيني. قد أجدني مخطئة في هذا المجال. لكني لا طاقة لي على تغيير واقعي. فكل ذرائع البشر لا تستطيع إقناعي بعكس ما ارتضاه فؤادي. وربما حكمت عليّ بأني لا أراعي صالحي. فأجيبك : حقاً، الحب أعمى.

تريسوتان : رغم أنك تحجبين عني موافقتك وتفضّلين عليّ كليتاندر، ثقي بأني، اذا قبلتِ بي، سأعرف كيف ارضيك وأسعدك.

هنْرييت : قلبي مولع به، ولا يمكنك أن تستميلني اليك، مهما فعلت. فقد سبق السيف العزل، وأنا مستعدة لأن أشرح لك وضعي بكل حرّيّة، وأملي أن لا تزعجك صراحتي. أنت تعلم جيداً ان القلب يهوى بدون أن يعبأ بالمصالح والمنافع. ولو كان كل إنسان يحب بتعقّل وتبصّر، لكان قلبي مال اليك. لكن الحب أعمى، كما قلت لك. وعلى المرء أن يرضى بهذا الواقع. وحين يكون الانسان شهماً عليه أن لا يضحّي بحبه في سبيل إرضاء أهله بل عليه أن يتبع هواه. فأرجوك أن لا تحمّس والدتي على معارضة اختياري بل أن تقنعها بالتساهل ومساعدتي على تقحيق أمنيتي العزيزة التي يجب عليك، والحالة هذه، أن تعينني انت ايضاً على تحقيقها.

تريسوتان : لكي تُرضي هوى قلبك عليك أن تطلبي المستطاع. وهل يقوى رجل مثلي على الامتناع عن حبك ؟ إلّا اذا حجبت عنه صفاتك وألطافك ومفاتنك.

هنْرييت : دعنا من هذا المديح الذي يملأ مقاطع أبيات شعرك. ولنتكلم جدّيّاً عن الواقع الملموس الذي يختلف عن تصوّرات الخيال.

تريسوتان : ان روحي تشدني اليك لا قلبي فقط. فبالشعر أكون عاشقاً متيّماً، عن طريق الوحي والإلهام. لكني في الواقع أنا ايضاً مغرم بجمالك الفتّان، يا معبودتي هنرييت.

هنْرييت : ارجوك، يا سيدي ...

تريسوتان : اذا كان كلامي يغيظك فأنا أمتنع عن النطق، لأن حرارة هيامي بك لا تقوى على التغاضي عن حسناتك وحنين شوقي الى تحقيق حلمي بالاقتران بك. لأني لا استطيع حقيقةً أن أقاوم سحر جمالك. وأنا لا أتمكن من معارضة رغبة أمك ايضاً، لأنها تفضّل اقترانك بي. على كل حال، لا سبيل لي إلى الاقلاع عن هذه الفكرة التي لا يهمّني غيرها في الكون.

هنْرييت : لكني أخشى من اللجوء الى العنف للبتّ في هذه القضية الشائكة، لئلّا تكون على حسابك اكثر مما هي على حسابي أنا.

(تمت)